الانثروبولوجيا الثقافية

المرحلة الرابعة /قسم علم الاجتماع

استاذ المادة

د. عمر جاسم محمد

٢٠٢٢-٢٠٢٣

الانثروبولوجيا الثقافية

هي ذلك العلم الذي يعني بدراسة أساليب حياة الإنسان وسلوكه النابع من ثقافته وتهتم الانثروبولوجيا الثقافية بالثقافة والتثقيف وبناء الشخصية وتدرس الإنسان من حيث هو عضو في مجتمع له ثقافة معينة يسلك سلوك الجماعة المحيطة ويدين بنظامها وقيمها وعاداتها وتقاليدها ويتحدث لغتها وبعيش حاضرها وماضيها ويتبع ديانتها ويخضع لقوانينها ونظمها. والانثروبولوجيا الثقافية تهتم بالتراث والحياة داخل نطاق المجتمع ويمكن بواسطتها الخوض في جوهر الثقافات المختلفة ومعرفة كيف تحيا الأمم. وما هي سبل العيش المتبعة لديهم وبأي الطرق يربون أبنائهم وما هو الأسلوب الذي يعاملون به جيرانهم وكيف يعبرون عن أنفسهم وما هي طريقتهم في أداء عباداتهم وفنونهم وكيفية اختصاصهم وجدهم وعلمهم في معالجة مرضاهم وتقدمهم في بناء بيوتهم ووسائلهم في معالجة مجرميهم ثم كيف ينقلون تراثهم إلى الأجيال الجديدة من بعدهم. والانثروبولوجيا الثقافية تدرس المجتمعات القديمة وكما تدرس المجتمعات الحديثة والمعاصرة قدراتهم للشعوب القديمة تعطي الانثروبولوجية دفعاً قوياً إلى فهم الشعوب الحاضرة وتدفع الإنسان للتفكير في المستقبل.

وهو علم حديث نسبياً كفرع متخصص ظهر في القرن التاسع عشر ولقد مرت الانثروبولوجيا الثقافية بمراحل عدة ففي البداية كانت تحاول رسم صورة عامة لتطور الثقافة منذ القدم وفي الفترة الثانية التي هي الفترة (التكوينية) للعلم تقع (١٩٠٠- ١٩١٥) فقط وكذلك علم دراسة مجتمعات صغيرة ومحددة لمعرفة وتحديد عناصر وتطور ثقافتها قبل ان تتعرض. أما المرحلة الثالثة وهي الفترة (الازدهار) (١٩١٥- ١٩٣٠) فقد تميزت بكثرة

الأبحاث والمناقشات في صلب علم الانثروبولوجيا الثقافية بعد ان نضج العلم ووضح مفاهيمه ومنهجه بعد ان تركزت الدراسات في أمريكا وظهرت مدرسة أخرى في انكلترا هي المدرسة الانتشارية. بعد ذلك جاءت المرحلة الرابعة وهي الفترة (التوسعية) (١٩٣٠- ١٩٤٠) التي تميزت باعتراف الجامعات بالانثروبولوجيا الثقافية جامعات أمريكا وأوروبا وخصص لها فرع في أقسام علم الاجتماع.

أما الفترة الخامسة فهي (١٩٤٠- إلى الوقت الحاضر) وهي فترة الانتشار الانثروبولوجيا الثقافية في البلدان المختلفة والبلدان النامية بأفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية كما أصبحت من أهم الدراسات القومية.

أما عن أهم أقسامها الرئيسية فهي:

أولاً: اللغويات وتقسم إلى (اللغات المنعزلة- اللغات الملتصقة- لغات ذات نحو وصرف).

ثانياً: علم الآثار أو (ما قبل التاريخ أو الحضريات).

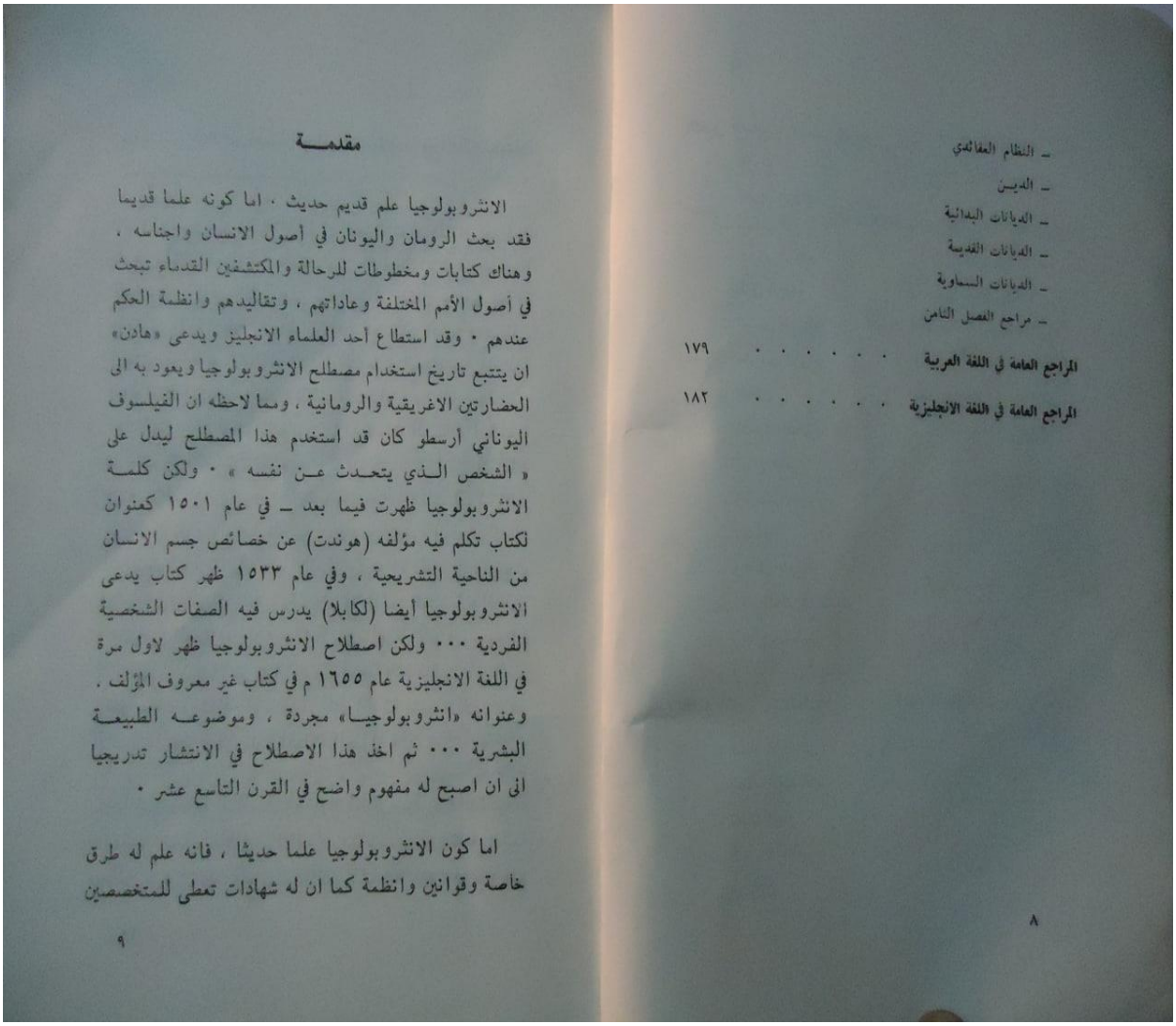

- النظام العائلي
- الدين
- الديانات البدائية
- الديانات القديمة
- الديانات السماوية
- مراجع الفصل الثامن

المراجع العامة في اللغة العربية ١٧٩

المراجع العامة في اللغة الانجليزية ١٨٢

مقدمـــة

الانثروبولوجيا علم قديم حديث . اما كونه علما قديما فقد بحث الرومان واليونان في أصول الانسان واجناسه ، وهناك كتابات ومخطوطات للرحالة والمكتشفين القدماء تبحث في أصول الأمم المختلفة وعاداتهم ، وتقاليدهم وانظمة الحكم عندهم . وقد استطاع أحد العلماء الانجليز ويدعى «هادن» ان يتتبع تاريخ استخدام مصطلح الانثروبولوجيا ويعود به الى الحضارتين الاغريقية والرومانية ، ومما لاحظه ان الفيلسوف اليوناني أرسطو كان قد استخدم هذا المصطلح ليدل على « الشخص الـذي يتحـدث عـن نفسه » . ولكن كلمـة الانثروبولوجيا ظهرت فيما بعد ـ في عام ١٥٠١ كعنوان لكتاب تكلم فيه مؤلفه (هوندت) عن خصائص جسم الانسان من الناحية التشريحية ، وفي عام ١٥٣٣ ظهر كتاب يدعى الانثروبولوجيا أيضا (لكابلا) يدرس فيه الصفات الشخصية الفردية ... ولكن اصطلاح الانثروبولوجيا ظهر لاول مرة في اللغة الانجليزية عام ١٦٥٥ م في كتاب غير معروف المؤلف . وعنوانه «انثروبولوجيـا» مجردة ، وموضوعـه الطبيعـة البشرية ... ثم اخذ هذا الاصطلاح في الانتشار تدريجيا الى ان اصبح له مفهوم واضح في القرن التاسع عشر .

اما كون الانثروبولوجيا علما حديثا ، فانه علم له طرق خاصة وقوانين وانظمة كما ان له شهادات تعطى للمتخصصين

الذيـن كانـوا يناقشونني ويجادلونني اثناء كتابـة بعض المواضيع ، ثم طلبتي الذين كانوا يفتحون أمامي طريق البحث ويمهدون لـي سبل التنقيب عـن الأفكار الجديدة بتساؤلاتهم لينهلوا العلم وليتزودوا بالمعرفة الحقة ٠

هذا وأرجو الله تعالى ان يوفقنا جميعا لما فيه خير أمتنا ووطننا ٠٠٠ واحمده على ما وهبني ، وأدعوه ان يأخذ بيدي لما فيه الصلاح وأسأله ان يغفر لي ، ان كان قد زل لساني أو سهوت عن ذكر فضيلة يرضاها ٠٠٠ وما أنا الا انسان يصيب ويخطيء ٠٠٠ وما الكمال الا لله الواحد الأحد ٠

ابراهيم ناصر
الجامعة الأردنية
عمـــان

الفصل الأول

الانثروبولوجيا
(علم الانسان)

عندما وجد الانسان على هذه الأرض لاول مرة كان هناك حياة قبل وجوده ، سواء كانت حياة حيوانية أو حياة نباتية ، ويؤيد هذا الوجود السابق للكائنات الحية ، الاديان السماوية الثلاثة ، كما تؤيده الدراسات والأبحاث الانثروبولوجية ٠ ويعيد بعض العلماء وجود الأرض الى (٤ ـ ٦) مليارات من السنين ، اما الحياة أو وجود اشياء حية ، فيعيده البعض الى فترة اقرب من ذلك ، فيرون أن الديدان قد عمرت التربة منذ حوالي ٤٥٠ مليون سنة تقريبا ، وجاءت بعدها الاسماك ذات الفك منذ حوالي ٤٠٠ مليون سنة وظهرت بعد ذلك العقارب منذ ٣٥٠ مليون سنة ، ثم الاسماك ذات الهيكل العظمي منذ ٣٠٠ مليون سنة ، ثم خلقت الحشرات الطائرة منذ ٢٢٥ مليون سنة فالطيور منذ ١٤٠ مليون سنة ، وتوالت المخلوقات ظهورا وارتقاء الى ان جاء آخر المخلوقات ، وأكملها وابدعها وهو الانسان ٠٠(وتشير بعض الدراسات الى ان عمر الانسان على هذه الأرض يتراوح ما بين (١٠ـ١٣) مليونا من السنين) وهناك اراء أخرى تقول ان عمر الانسان على الأرض لا يزيد عن مليون سنة ، اما الانسان المعاصر والذي نحن من أحفاده فقد انحدر من سلالات بشرية جديدة لا تزيد في عمرها عن ٣٠ ألف سنة١١ وعلى أية حال فان هذا الانسان الموجود الآن ،

الذيـن كانـوا يناقشونني ويجادلونني اثناء كتابـة بعض المواضيع ، ثم طلبتي الذين كانوا يفتحون أمامي طريق البحث ويمهدون لـي سبل التنقيب عـن الأفكار الجديدة بتساؤلاتهم لينهلوا العلم وليتزودوا بالمعرفة الحقة ٠

هذا وأرجو الله تعالى ان يوفقنا جميعا لما فيه خير أمتنا ووطننا ٠٠٠ واحمده على ما وهبني ، وأدعوه ان يأخذ بيدي لما فيه الصلاح وأساله ان يغفر لي ، ان كان قد زل لساني أو سهوت عن ذكر فضيلة يرضاها ٠٠٠ وما أنا الا انسان يصيب ويخطيء ٠٠٠ وما الكمال الا لله الواحد الأحد ٠

ابراهيم ناصر
الجامعة الأردنية
عمـــان

الفصل الأول

الانثروبولوجيا
(علم الانسان)

عندما وجد الانسان على هذه الأرض لاول مرة كان هناك حياة قبل وجوده ، سواء كانت حياة حيوانية أو حياة نباتية ، ويؤيد هذا الوجود السابق للكائنات الحية ، الاديان السماوية الثلاثة ، كما تؤيده الدراسات والأبحاث الانثروبولوجية ٠ ويعيد بعض العلماء وجود الأرض الى (٤ ـ ٦) مليارات من السنين ، اما الحياة أو وجود اشياء حية ، فيعيده البعض الى فترة اقرب من ذلك ، فيرون أن الديدان قد عمرت التربة منذ حوالي ٤٥٠ مليون سنة تقريبا ، وجاءت بعدها الاسماك ذات الفك منذ حوالي ٤٠٠ مليون سنة وظهرت بعد ذلك العقارب منذ ٣٥٠ مليون سنة ، ثم الاسماك ذات الهيكل العظمي منذ ٣٠٠ مليون سنة ، ثم خلقت الحشرات الطائرة منذ ٢٢٥ مليون سنة فالطيور منذ ١٤٠ مليون سنة ، وتوالت المخلوقات ظهورا وارتقاء الى ان جاء آخر المخلوقات ، وأكملها وابدعها وهو الانسان ٠٠(وتشير بعض الدراسات الى ان عمر الانسان على هذه الأرض يتراوح ما بين (١٠ـ١٣) مليونا من السنين) وهناك اراء أخرى تقول ان عمر الانسان على الأرض لا يزيد عن مليون سنة ، اما الانسان المعاصر والذي نحن من أحفاده فقد انحدر من سلالات بشرية جديدة لا تزيد في عمرها عن ٣٠ ألف سنة[١] وعلى أية حال فان هذا الانسان الموجود الآن ،

في مجتمع ، فيه نظم وانساق اجتماعية تظله ثقافة معينة ، ويقوم بأعمال متعددة ، ويسلك سلوكا محدداً ٠ وهو العلم الذي يدرس الحياة البدائية ، والحياة الحديثة المعاصرة ، ويحاول التنبوء بمستقبل الانسان عامة معتمداً في ذلك على تطوره عبر التاريخ الانساني الطويل ، لذا يعتبر علم دراسة الانسان (الانثروبولوجيا) علم متطور يدرس الانسان البشري، وسلوك هذا الانسان العام ، وأعماله[٦] كما انه يمكن القول بان الموضوع الرئيسي الذي يبحثه علم الانسان يتمثل في البحث المنظم عـن المبادىء التي تحكم التطـور الفيزيقي (العضوي) ، والثقافي ، والاجتماعي للانسان[٧] ٠ وبما ان علمـاء الانثروبولوجيا يهتمون بدراسة الانسان البدائـي والانسان المتحضر ، فانهـم لا يكتفون بالدراسة العضويـة والثقافية والاجتماعية فقط بل تمتد دراستهم الى القانون المتبع لدى الشعوب المدروسة ، كما يهتمون بدراسة اللغة والنظم السياسية والاقتصادية والدينية ٠

ويفضل علماء الانثروبولوجيا استعمال الالفاظ الدقيقة التي تصف المصطلحات المستعملة في هذا العلم بدقة ، ومن هنا يرون أن مصطلحات مثل بدائي ، ونسل ، وعرق ، وعنصر ، وثقافة ٠٠٠ الخ ، لها أهمية كبيرة في مثل هذه الدراسات . فلفظة «بدائي» (مثلا) المستعملة في الكتابات

الانثروبولوجية لا تعني ابدا أن المجتمعات التي توصف بتلك الصفة اسبق في الزمن وادنى في المنزلة أو النوع من المجتمعات الأخرى المعاصرة ٠ فمن المعروف ان لتلك المجتمعات تاريخا طويلا قد يماثل في طوله تاريخ المجتمعات المتحضرة ذاتها ٠ فاذا كانت تلك المجتمعات لم تتطور في بعض النواحي بنفس النسبة التي تطور بها المجتمع الأوروبي (مثلا) فانها تفوقه في الواقع في نواح أخرى[٨] ٠ الا ان هذا المصطلح «بدائي» أصبح واسع الانتشار الى حد لا يمكن الاستغناء عنه ٠ ولكن يجب ان نعرف عندما يستعمل الانثروبولوجيون هذه الكلمة فانهم يقصدون بها الاشارة الى المجتمعات الصغيرة سواء من ناحية عدد السكان أو المساحة ، أو تشعب العلاقات الاجتماعية ، أو بساطة الفنون الآليه والاقتصادية ، وقلة التخصصات في الوظائف الاجتماعية اذا مـا قورن كل ذلـك بالمجتمعات المتقدمة ، ويحب بعض الانثروبولوجيين ان يضيفوا الى ذلك مقاييس ومعايير أخرى أهمها : عدم وجود تراث مكتوب ، وبالتالي عدم وجود أي فـن أو علـم أو لاهوت منهجي منظم[٩] ٠

اما لفظة النسل فمصطلح يطلق على مجموعة من الأفراد يمتازون بخصائص جسمية معينة ، ويمكن معرفة ذلك اذا نظرنـا الى بعض القبائل التي تعيش في عزلة تامـة عـن المجتمعات المتحضرة ، ويمكن التزاوج بين أفرادها من داخل القبيلة ٠ أما العرق ، فمصطلح يطلق على أنسال تلتقي

انماطها المثالية في سلسلة من الخصائص المشتركة (الجسمية الوراثية) كما ان العرق وحدة أكبر من النسل ، ويمكن وجود العرق في كثير من القبائل العربية ، أو فيما يطلق عليه في المجتمعات المتحضرة ، العائلات العريقة • ولكن مصطلح العنصر ، يطلق على وحدة أكبر من العرق ويمكن ان يكون ذلك بالعيش في مناطق مناخية متشابهة ، ويمتاز كل عنصر عن الآخر بصفات عديدة (سيأتي ذكرها) •

صلة الانثروبولوجيا بالعلوم الأخرى :

لقد اختلف العلماء في تصنيف هذا العلم بين العلوم المختلفة فيرى البعض انه من العلوم الاجتماعية ، في حين يرى البعض الآخر انه من العلوم التطبيقية ، وترى فئة ثالثة انه من العلوم الانسانية ، ولكنه في الواقع أقرب ما يكون ــ نظراً لموضوع بحثه ــ من العلوم الاجتماعية* •

* جمع مصادر العلوم في اللغة الانجليزية بكلمة SHAN وتعني :
Social Science العلوم الاجتماعية والتي تتضمن علوم : (النفس ، الاجتماع ، الاقتصاد ، السياسة ، التاريخ ، والانثروبولوجيا) •
Human Science العلوم الانسانية وتتضمن علوم : (الفلسفة ، اللغات ، الفنون ، والديانات) •
Applied Science العلوم التطبيقية وتتضمن علوم : (الرياضيات، الفلك ، الهندسة ، الطب ، والتربية) •
Natural Science العلوم الطبيعية وتتضمن علوم : (الكيمياء ، الفيزياء ، والاحياء) •

وقد عرف علم دراسة الانسان (الانثروبولوجيا) بانه العلم الذي يدرس الانسان من حيث تطوره وسلوكاته وانماط حياته ولكنه ليس العلم الوحيد الذي يدرس الانسان فهناك علم النفس مثلا يشارك الانثروبولوجيا في دراسة سلوك الانسان ، ولكن الخلاف بين علم النفس وعلم الانثروبولوجيا ان الأول يركز على سلوك الانسان الفرد اما الانثروبولوجيا فتركز على السلوك الانساني عامة كما تدرس السلوك الجماعي النابع من تراث الجماعة لذا فدراسة الانثروبولوجيا دراسة للانماط السلوكية الانسانية • اما علم الاحياء فله هو الآخر صلة بعلم الانثروبولوجيا ويهتم بتطور اعضاء الانسان الفردي ، يدرس الانسان كفرد ، أي الناس كافراد كل على حده ، ويمكن القول بأن علم الانسان اذا ما قورن بهذين العلمين (علم الاحياء وعلم النفس) فانه العلم الذي يبحث في سلوك الجماعات وانتاجها ، واعضائها ومكوناتها بينما يركز العلمان المذكوران (الاحياء والنفس) على الفرد كفرد قائم بذاته • كما ان تركيز علم الانسان على الجماعات لا يساويه بعلم الاجتماع أيضا ، لان كل من الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع يبحث في موضوع يختلف عما يبحثه العلم الآخر ، فعلم الاجتماع يركز على المشاكل الاجتماعية في المجتمع الواحد كما يدرس الطبقات الاجتماعية في مجتمع معين من المجتمعات الحديثة فقط ، ونادراً ما يدرس المجتمعات البدائية أو المتخلفة

والذي وجد منذ عرفت الانسانية هو مجال دراستنا في علم الانثروبولوجيا أو علم دراسة الانسان •

فالانثروبولوجيا Anthropology هي العلم الذي يدرس الانسان ، يدرس اوجه الشبه واوجه الاختلاف بينه وبين الكائنات الحية الأخرى من جهة ، كما يدرس أوجه الشبه واوجه الاختلاف بينه وبين أخيه الانسان من جهة ثانية • وفي نفس الوقت يدرس السلوك الانساني ضمن الاطار الثقافي والاجتماعي (الحياتي) عامة • ومع أن الانسان يتعجب كل العجب عندما يرى مظاهر الحياة في صورة البحار الضخمة ، والجبال الشاهقة الارتفاع ، والبراكين ، والكوارث الطبيعية الأخرى •• فانه ينسى أو يتناسى ولا يفكر بابدع هذه المخلوقات جميعا وهو الانسان ••• هذا المخلوق الذي هو اكثر موجودات الكون مدعاة للعجب(٢) وهو معجزة الخالق عز وجل ، والذي عجزت وتعجز وستبقى عاجزة كل الأجهزة والمخترعات عن خلق مخلوق مثله أو حتى خلق جزء من اجزائه •

اذن هذا الانسان ــ المخلوق العجيب ــ بحاجة الى دراسة ، ولكن من يدرس هذا الانسان ؟ ••• أهو عالم الاحياء ، أم عالم دراسة الاعضاء ؟ أم عالم العلوم الطبية العلاجية ؟ •• الخ ••• ؟

والجواب •• انهم جميعا يدرسون الانسان ••• كل يدرسه من بعض جوانب مظاهر حياته أو تكوينه ، اما الذي يدرس

الانسان كانسان متكامل من حيث طبيعة تكوينه ، وتطوره ، وسلوكه ، وأسلوب حياته ، ومفاهيمه ، وعاداته ، وتقاليده ، وقيمه ، ــ الانسان بانسانيته ــ فهو عالم الانثروبولوجيا أو ما يطلق عليه عالم ــ علم الانسان ــ ••• فمن هو هذا العالم ؟

من المحتمل ان يكون القليل من الناس قد عرفوا عن علماء الانسان ، أو العلماء الذين يدرسون الانسان من حيث هو كائن حي يعيش في مجتمع وضمن اطار ثقافي معين توارثه عبر الاجيال • ومن المحتمل أيضا ان ما سمعته هذه الفئة القليلة من الناس عن علماء دراسة الانسان قد اعطاهم فكرة بان هؤلاء العلماء ــ مخلوقات شاذه تقضي معظم اوقاتها في دراسة الشعوب البدائية أو المنقرضة ، أو انهم جماعة يقضون حياتهم في الحفر بين الآثار القديمة أو النبش في القبور ، أو انهم يقابلون اناسا بعيدين عن الحضارة الانسانية ، ويتعاملون مع اناس هم الى الحياة الحيوانية اقرب منهم الى الحياة الانسانية ، اناس متوحشين يأكلون لحوم البشر • أو هم ــ العلماء ــ فئة من الدارسين الباحثين عن المغامرة أو الشهرة أو المال(٣) •

ولكن الحق والصواب غير ذلك ، لان علماء دراسة الانسان ، هم علماء يدرسون الشعوب القديمة من جهة كما يدرسون الشعوب المعاصرة من جهة أخرى ليسهموا في تطور الانسان المتحضر ودفع ركب الحضارة الانسانية ، وليعطوا فكرة عن

قيم وعادات ونظم الشعوب كي يتم في ضوء ما يطرحونه من أفكار ، تقدم وازدهار البشرية عامة ٠

كما ان لعلماء دراسة الانسان باع طويل في تقديم العون أو المشورة لكل الفئات المصلحة في المجتمعات الانسانية ، لانهم يركزون في دراساتهم للشعوب المختلفة على « السلوك الانساني العام » وعلى دراسة ما يفعله الانسان وما يقوله ، والعالم الانثروبولوجي (الانساني) عندما يدرس شعبا ما فانه يصف ما يقوم به ذلك الشعب من انماط سلوكية ـ سلوكات ـ ويصف ماذا يعبدون ، ومن يعبدون ، وكيف يتعبدون ، أو يقومون بطقوس العبادة ، كما يصف كيف يربون أطفالهم ، كيف يصطادون، كيف يزرعون، كيف يعالجون أمراضهم،كيف يبنون بيوتهم ، كيف يقدمون الولاء والطاعة لرؤسائهم ، وكيف يعاقبون مجرميهم ٠٠٠ وكثيراً غير هذا مما يصفه لنا علماء دراسة الانسان عن الشعوب المدروسة ٠

هذه الدراسات تفيد معظم الباحثين الأخرين في العلوم الأخرى ، لان معرفة تلك الأنماط السلوكية المتصلة والمرتبطة بشبكة معقدة من العلاقات الاجتماعية ـ أو ما يطلق عليه البناء الاجتماعي Social Structure ـ تعتبر دليلا واضحا على حفاظ تلك الشعوب على تراثها الثقافي المتوارث ، والذي يتوقف على الأخذ به أو الابتعاد عنه تطور ذلك الشعب أو تلك الفئة من البشر ، وبالتالي معرفة طريقة للتعامل معهم والاندماج بهم وكسب ثقتهم ، ومعرفتهم على حقيقتهم الناجمة

من تراثهم المتراكم على مر الاجيال وذلك من أجل اكتشاف حدود وطريقة معينة لمعاملتهم والتعامل معهم ٠

معنى الانثروبولوجيا :

ان لفظة انثروبولوجيا Anthropology كلمة انجليزية مشتقة من الأصل اليوناني انثروبوس Anthropos ومعناها «الانسان» ولوجوس Logos وتعني « علم » ، وهكذا يصبح معنى الانثروبولوجيا اللفظي «علم الانسان» أي العلم الذي يدرسنا نحن أنفسنا(٤) ٠

وتطلق جميع الشعوب الناطقة باللغة الانجليزية على هذا العلم الانثروبولوجيا «علم الانسان وأعماله» ، ويطلق نفس المصطلح في البلاد الأوروبية غير الناطقة بالانجليزية على دراسة الخصائص الجسمية للانسان ، ففي انجلترا مثلا يطلق هذا المصطلح على دراسة الشعوب وكياناتها الاجتماعية مع ميل خاص للتأكيد على الشعوب البدائية ، اما في امريكا فيرون ان الانثروبولوجيا هي علم دراسة الثقافات البشرية البدائية والمعاصرة في حين ان علماء فرنسا يعنون بهذا المصطلح دراسة الانسان طبيعياً (عضوياً)(٥) ٠

وفي الحقيقة ، ان الانثروبولوجيا Anthropology هو العلم الذي يدرس الانسان من حيث هو كائن عضوي حي ، يعيش

في مجتمع ، فيه نظم وانساق اجتماعية تظله ثقافة معينة ، ويقوم بأعمال متعددة ، ويسلك سلوكاً محدداً ٠ وهو العلم الذي يدرس الحياة البدائية ، والحياة الحديثة المعاصرة ، ويحاول التنبوء بمستقبل الانسان عامة معتمداً في ذلك على تطوره عبر التاريخ الانساني الطويل ، لذا يعتبر علم دراسة الانسان (الانثروبولوجيا) علم متطور يدرس الانسان البشري، وسلوك هذا الانسان العام ، وأعماله(٦) كما انه يمكن القول بأن الموضوع الرئيسي الذي يبحثه علم الانسان يتمثل في البحث المنظم عن المبادىء التي تحكم التطور الفيزيقي (العضوي) ، والثقافي ، والاجتماعي للانسان(٧) ٠ وبما ان علماء الانثروبولوجيا يهتمون بدراسة الانسان البدائي والانسان المتحضر ، فانهم لا يكتفون بالدراسة العضوية والثقافية والاجتماعية فقط بل تمتد دراستهم الى القانون المتبع لدى الشعوب المدروسة ، كما يهتمون بدراسة اللغة والنظم السياسية والاقتصادية والدينية ٠

ويفضل علماء الانثروبولوجيا استعمال الالفاظ الدقيقة التي تصف المصطلحات المستعملة في هذا العلم بدقة ، ومن هنا يرون أن مصطلحات مثل بدائي ، ونسل ، وعرق ، وعنصر ، وثقافة ٠٠٠ الخ ، لها أهمية كبيرة في مثل هذه الدراسات . فلفظة «بدائي» (مثلا) المستعملة في الكتابات

الانثروبولوجية لا تعني ابدا أن المجتمعات التي توصف بتلك الصفة اسبق في الزمن وادنى في المنزلة أو النوع من المجتمعات الأخرى المعاصرة ٠ فمن المعروف ان لتلك المجتمعات تاريخا طويلا قد يماثل في طوله تاريخ المجتمعات المتحضرة ذاتها ٠ فاذا كانت تلك المجتمعات لم تتطور في بعض النواحي بنفس النسبة التي تطور بها المجتمع الأوروبي (مثلا) فانها تفوقه في الواقع في نواح أخرى(٨) ٠ الا ان هذا المصطلح «بدائي» أصبح واسع الانتشار الى حد لا يمكن الاستغناء عنه ٠ ولكن يجب ان نعرف عندما يستعمل الانثروبولوجيون هذه الكلمة فانهم يقصدون بها الاشارة الى المجتمعات الصغيرة سواء من ناحية عدد السكان أو المساحة ، أو تشعب العلاقات الاجتماعية، أو بساطة الفنون الآليه والاقتصادية ، وقلة التخصصات في الوظائف الاجتماعية اذا ما قورن كل ذلك بالمجتمعات المتقدمة ، ويحب بعض الانثروبولوجيين ان يضيفوا الى ذلك مقاييس ومعايير أخرى أهمها : عدم وجود تراث مكتوب ، وبالتالي عدم وجود أي فن أو علم أو لاهوت منهجي منظم(٩) ٠

اما لفظة النسل فمصطلح يطلق على مجموعة من الأفراد يمتازون بخصائص جسمية معينة ، ويمكن معرفة ذلك اذا نظرنا الى بعض القبائل التي تعيش في عزلة تامة عن المجتمعات المتحضرة ، ويمكن التزاوج بين أفرادها من داخل القبيلة ٠ أما العرق ، فمصطلح يطلق على أنسال تلتقي

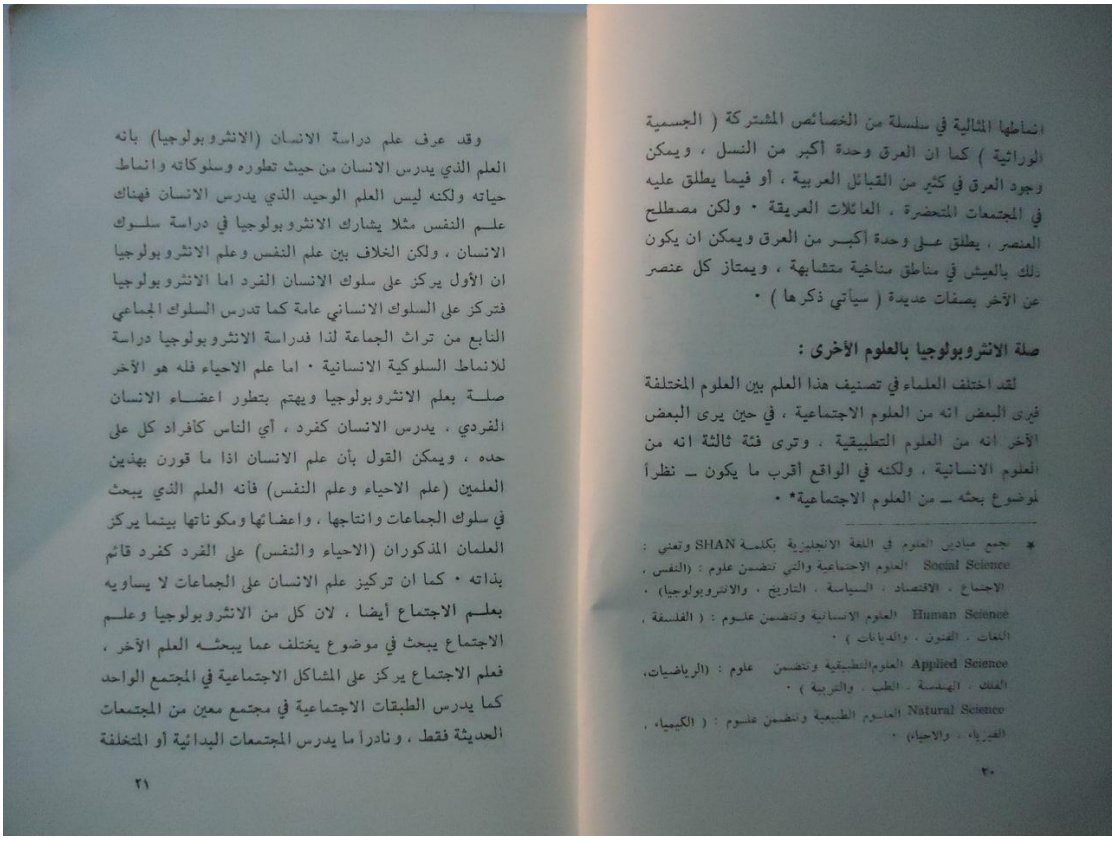

انماطها المثالية في سلسلة من الخصائص المشتركة (الجسمية الوراثية) كما ان العرق وحدة أكبر من النسل ، ويمكن وجود العرق في كثير من القبائل العربية ، أو فيما يطلق عليه في المجتمعات المتحضرة ، العائلات العريقة • ولكن مصطلح العنصر ، يطلق على وحدة أكبر من العرق ويمكن ان يكون ذلك بالعيش في مناطق مناخية متشابهة ، ويمتاز كل عنصر عن الآخر بصفات عديدة (سيأتي ذكرها) •

صلة الانثروبولوجيا بالعلوم الأخرى :

لقد اختلف العلماء في تصنيف هذا العلم بين العلوم المختلفة فيرى البعض انه من العلوم الاجتماعية ، في حين يرى البعض الآخر انه من العلوم التطبيقية ، وترى فئة ثالثة انه من العلوم الانسانية ، ولكنه في الواقع أقرب ما يكون ــ نظراً لموضوع بحثه ــ من العلوم الاجتماعية* •

* جمع مبادين العلوم في اللغة الانجليزية بكلمة SHAN وتعني :
Social Science العلوم الاجتماعية والتي تتضمن علوم : (النفس ، الاجتماع ، الاقتصاد ، السياسة ، التاريخ ، والانثروبولوجيا) •
Human Science العلوم الانسانية وتتضمن علوم : (الفلسفة ، اللغات ، الفنون ، والديانات) •
Applied Science العلوم التطبيقية وتتضمن علوم : (الرياضيات، الفلك ، الهندسة ، الطب ، والتربية) •
Natural Science العلوم الطبيعية وتتضمن علوم : (الكيمياء ، الفيزياء ، والاحياء) •

وقد عرف علم دراسة الانسان (الانثروبولوجيا) بانه العلم الذي يدرس الانسان من حيث تطوره وسلوكاته وانماط حياته ولكنه ليس العلم الوحيد الذي يدرس الانسان فهناك علم النفس مثلا يشارك الانثروبولوجيا في دراسة سلوك الانسان ، ولكن الخلاف بين علم النفس وعلم الانثروبولوجيا ان الأول يركز على سلوك الانسان الفرد اما الانثروبولوجيا فتركز على السلوك الانساني عامة كما تدرس السلوك الجماعي النابع من تراث الجماعة لذا فدراسة الانثروبولوجيا دراسة للانماط السلوكية الانسانية • اما علم الاحياء فله هو الآخر صلة بعلم الانثروبولوجيا ويهتم بتطور اعضاء الانسان الفردي ، يدرس الانسان كفرد ، أي الناس كأفراد كل على حده ، ويمكن القول بأن علم الانسان اذا ما قورن بهذين العلمين (علم الاحياء وعلم النفس) فانه العلم الذي يبحث في سلوك الجماعات وانتاجها ، واعضائها ومكوناتها بينما يركز العلمان المذكوران (الاحياء والنفس) على الفرد كفرد قائم بذاته • كما ان تركيز علم الانسان على الجماعات لا يساويه بعلم الاجتماع أيضا ، لان كل من الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع يبحث في موضوع يختلف عما يبحثه العلم الآخر ، فعلم الاجتماع يركز على المشاكل الاجتماعية في المجتمع الواحد كما يدرس الطبقات الاجتماعية في مجتمع معين من المجتمعات الحديثة فقط ، ونادراً ما يدرس المجتمعات البدائية أو المتخلفة

النظم والعلاقات ـ في حين أن المدارس الأربعة السالفة الذكر ـ البيئية ، والقانون المقارن ، التطورية ، والانتشارية ـ تركز على الثقافة ·

مراحل الانثروبولوجيا الثقافية :

مرت الانثروبولوجيا الثقافية بمراحل عدة(٧) ، ففي البداية كانت دراسة هذا العلم تعتمد على الثقافة ، ومحاولة رسم صورة عامة لتطور الثقافة منذ القدم ، والبحث كذلك عن نشأة المجتمع الانساني اما في الفترة الثانية أو الفترة التكوينية للعلم والتي تقع ما بين (١٩٠٠م ـ ١٩١٥م) فقد تركزت الجهود والابحاث والدراسات لمجتمعات صغيرة محددة وذلك لمعرفة وتحديد عناصر وتاريخ وتطور ثقافتها قبل ان تنقرض ، اما المرحلة الثالثة والتي تعد فترة الازدهار (١٩١٥م ـ ١٩٣٠م) فقد تميزت بكثرث الابحاث والمناقشات في صلب علم الانثروبولوجيا الثقافية ، واخذت تتركز تلك الدراسات في امريكا ، ويرجع ازدهار هذا العلم في تلك الفترة الى نضج العلم ووضوح مفاهيمه ومناهجه ، وازدهرت في هذه الفترة المدرسة التاريخية في امريكا وظهرت مدرسة أخرى في نفس الفترة في انجلترا هي المدرسة الانتشارية · ثم جاءت المرحلة الرابعة بما اطلق عليه الفترة التوسعية (١٩٣٠م ـ ١٩٤٠م) ، وتميزت هذه الفترة باعتراف الجامعات الامريكية والأوروبية بالانثروبولوجيا الثقافية وخصص لها فرع في أقسام علم الاجتماع · وفي هذه الفترة أيضا ، تقدمت وازدهرت دراسات الانثروبولوجيا الاجتماعية بفضل ابحاث

كل من مالينوفسكي ، وراد كليف براون ، وعندما وصلت تلك الابحاث الى امريكا معقل الانثروبولوجيا الثقافية ، أحدثت اثاراً عميقة في مفاهيم ومناهج الانثروبولوجيا الثقافية ، اما المرحلة الخامسة أو الفترة المعاصرة (١٩٤٠م ـ الوقت الحاضر) فقد تميزت هذه الفترة بظهور اتجاهات جديدة وبانتشار الانثروبولوجيا الثقافية في جامعات المجتمعات النامية بأفريقيا ، وآسيا وامريكا اللاتينية بالاضافة الى الجامعات الامريكية والأوروبية · كما أصبحت الدراسات على المستوى القومي من أهم الاتجاهات الحديثة في الانثروبولوجيا الثقافية ـ في كل قطر وبلد على حده ـ ومن أهم الاتجاهات الحديثة في الانثروبولوجيا الثقافية ـ دراسة المجتمعات المتمدنة ، أو ما يسمى بدراسة الحالة Case Study كدراسة قرية أو مجموعة قرى مجاورة ، أو الدراسة التخصصية في منطقة معينة ، أو ثقافة محددة ، أو خصائص ومبادىء الانثروبولوجيا الثقافية مثل المنهج ، وطرق البحث ·· وهكذا ·

وقد نشأ صراع بين علماء الانثروبولوجيا في العصر الحالي حول هذه الاتجاهات ، الاتجاه الذي يركز على المجتمعات ويتزعمه العلماء البريطانيون ، والاتجاه الذي يركز على الثقافة أو علم الثقافة Culturology ويتزعمه العلماء الامريكان ونتيجة لهذا الصراع ظهر اتجاه ثالث يهتم اصحابه بالبحث العلمي المحض والبحث عن الحقيقة والمعرفة الصحيحة ، وحاولت هذه الفئة الثالثة الجمع بين الاتجاهين السابقين ، وراحت تبحث في الانسان وسلوكاته ضمن الاطار الاجتماعي

الذي يعيش فيه ، وعلى رأس هذه الفئة من علماء الانثروبولوجيا المحدثين كلارك وسلر ، ورولاند دكس ·

اقسام الانثروبولوجيا الثقافية :

تقسم الانثروبولوجيا الثقافية الى أقسام ثلاثة(٨) رئيسية هي :

١ ـ اللغويات Linguistics

وهو العلم الذي يبحث في تركيب اللغات المختلفة لبني البشر بما في ذلك اللغات التي لا نعرفها الا من السجلات التاريخية المكتوبة كاللغة اللاتينية أو اليونانية القديمة أو السنسكريتية · واللغات المستخدمة في الوقت الحاضر ·

هذا ولا يقتصر دارس اللغات على اشكالها ـ كالرموز المستعملة فحسب بل يهتم أيضا بالعلاقات القائمة بين لغة شعب من الشعوب وبقية جوانب ثقافته ·

هناك أنواع مختلفة وملحوظة من طرق الاتصال بين المخلوقات الحية وقد توصل علماء الطبيعة الى تقسيم هذه الطرق الى أنواع ، مثل :

١ ـ الاتصال عن طريقة الرقص كما هو واضح في رقصة النحلة الدولبية واهتزازاتها كي تقود اعضاء الخلية من مكان الى مكان ·

٢ ـ الاتصال عن طريق التزاوج وتتم في الحيوانات الأولية ·

٣ ـ الاتصال عن طريق الحركات العضلية كما هو واضح بالتعابير التي يرسمها المخلوق الحي على وجهه كالتكشير عن الانياب عند اظهار الغضب لدى الحيوانات المفترسة وغيرها ، أو التعبير بعضلات الوجه عن الفرح أو تحريك الذيل دليل الرضا لدى الحيوانات الاليفة ·

٤ ـ الاتصال عن طريق الأصوات ··· بمعنى تكوين اهتزازات للاوتار الصوتية في الحنجرة ، أو بطريقة الضرب على آلة أو أي شيء أخر كما يحدث في ضرب الغوريلا على صدرها أو هز الاشجار لدى الشمبانزي لايصال المعلومات التي يريدها كالاستغاثة مثلا ، أو النباح كانذار عند الخطر أو الالم ، أو الزئير لدى الأسد ·

٥ ـ الاتصال عن طريق الرموز الممثلة بأصوات أو ما يطلق عليه الكلام ، أو الحديث أو التحدث ·

واللغة من الصفات التي يتميز بها الانسان عن غيره من المخلوقات اذ انها طريقة للتفاهم فيما بين الفئات والشعوب ، ويتم هذا التفاهم بواسطة رموز واشكال متفق عليها ويمكن تعلمها ، وهي وسيلة لنقل التراث والتفاهم ، وبالامكان كتابتها ـ على ان هناك لغات لا تكتب ويستعملها بعض الشعوب القديمة والقريبة في حياتها من حياة الشعوب البدائية · ومهما

يكن من أمر فان عملية تحليل اللغات وتصنيفها كعملية تحليل الاجناس البشرية وتصنيفها لا تشكل الا الخطوة الأولى لغيرها من الدراسات المهمة الأخرى ·

واللغة اداة تفكير بالاضافة الى كونها وسيلة رئيسية للاتصال على انه يجب ان لا يخلط بين دراسة اللغويات وعملية تعلم اللغات · فمن المسلم به ان فهم تركيب أية لغة ليس ضروريا لتعلمها وان كان ذلك يساعد على تسهيل عملية التعلم · ثم ان دراسة اللغويات لا تقتصر على اللغات المكتوبة فقط بل على اللغات غير المكتوبة أيضا ·

وقد كان استخدام اللغة عاملا من العوامل المهمة في تقدم الانسان ووصوله الى ما هو عليه من حضارة الا انه من الصعوبة بمكان ان يعتقد انسان اليوم ان اللغة والنطق البشري تطور من صراخ الحيوانات ، الا اننا مع هذا لا نعرف متى أو كيف تم لاسلاف البشر الأوائل الحديث مع بعضهم البعض ثم اختراعهم للغة ما ، كما لا يمكن تحديد الوقت الذي بدأ فيه الكلام وظهرت فيه اللغة ، ثم انه لا يمكن معرفة متى بدأ استعمال مجموعة من الأصوات للتعبير عن الأفكار التي كانت تدور في خلد القدماء من البشر ·

ولكن المعلومات التي يمكن الرجوع اليها عن بدء اللغة لا تزيد عن أربعة آلاف سنة قبل الميلاد أي عندما اخترعت الكتابة لاول مرة ، وسيظل أصل اللغة وتطورها مجالا واسعا

لمختلف الاجتهادات الفكرية لان الحفريات البشرية التي يمكن بواسطتها اكتشاف الهياكل العظمية ومعرفة أصولها لا تدلنا على اللغة التي كان يتحدثها اصحاب هذه الهياكل العظيمة اما وظائف اللغة فيمكن تحليلها ومعرفتها بسهولة ، فمن أهم وظائف اللغة مثلا انها اداة للاتصال وهي التي تساعد على نقل الأفكار بدقة وسهولة وهي جزء من تراث الأمة ·

وتعتبر اللغة الصينية من أقدم اللغات الحية المعروفة في العالم ، فعمرها يناهز الستة آلاف سنة ، وهي ليست قديمة فقط بل وعريقة أيضا ، وتمتاز المفردات الصينية بانها وحيدة المقطع ويمكن تشبيهها بحروف الجر المنفصلة في اللغة العربية (من ، الى ، عن ، على ، في ···) فاذا اراد الصيني ان يكتب أو يقول كلمة (سيارة) مثلا فانه يقول **تسي تسو** (اما المقطع الأول تسي فتعني هواء أو بخار والمقطع الثاني تسو يعني عربة) وهما معا تسي تسو أي عربة بخار أو عربة بخارية · كما ان المفردات الصينية قد تتكون من مقطعين أو ثلاثة أو أربعة مقاطع أو اكثر ، ومن هذا يتضح لنا ان اللغة الصينية تعتمد على تجميع المقاطع والأصوات وليست على تجميع الأحرف ، وتبلغ تلك الرموز حوالي الالفي رمز ويتألف من تشكيلاتها المختلفة ما يزيد على عشرة آلاف مقطع ، ولكي يتمكن الفرد من القراءة والكتابة في اللغة الصينية عليه ان يحفظ خمسة آلاف رمز على الأقل ويعني ذلك خمسة آلاف مفردة أساسية ·

وقد حاول علماء اللغة الصينية المحدثون تقليص بعض الرموز الى النصف فالكلمة ذات الأربعة عشر رمزاً مثلا قلصت الى سبعة رموز ، وهكذا ·

هذا وكان علماء فقه اللغة قد وفقوا في دراسة اللغات المختلفة(٩) وقسموها الى :

١ ـ اللغات المنعزلة Isolating

وهي اللغات التي يتخاطب بها فئات منعزلة عن الفئات الأخرى ولا يفهمها غير تلك الفئات المتحدثة بها وهي لغة لا تكتب وليس لها تاريخ ·

٢ ـ اللغات الملتصقة Agglutinative

لغات تتخاطب بها شعوب كبيرة ولكنها ملتصقة بهم وبتراثهم وهي لغات معروفة ولكنها تعتمد على المقاطع والكلمات وليس لها قواعد ، مثل اللغة الصينية ·

٣ ـ لغات ذات نحو وصرف Inflectional

وهي اللغات الحديثة للأمم المتحضرة ولها نحو وصرف وقواعد مثل اللغات الأوروبية ، واللغة العربية ·

على ان علماء اللغة جميعاً لم يتمكنوا من معرفة اسبقية لغة على أخرى كما انهم لم يتمكنوا من تفضيل لغة على أخرى في الكمال والوفاء باحتياجات المتكلمين لان لكل لغة مصطلحاتها التي تفي باغراضها المختلفة ·

هذا ويمكن القول بأن جميع اللغات المستعملة في العالم قد شكلت من أصوات تدل على تلك اللغة ، كما ان تلك الأصوات قد اشتقت من قواعد وأصول خاصة بكل لغة على حـــدة ·

ولذا فان علماء اللغة عندما يحللون أي لغة فانهم يقسمونها أو يقسموا محتوياتها الى أصوات ورموز يكون منها كلمات منطوقة أو مكتوبة تسمع أو تقرأ ·· والكلمات بحد ذاتها تشتمل على رموز أو أحرف ولكن الأصوات في العادة تكون اكثر من الأحرف ويمكن ترتيب ذلك كما يلي الحرف فالصوت ومثال ذلك في اللغة الانجليزية مثلا هناك ٢٦ حرفاً بينما هناك ٤٦ صوتا أي ان بعض الحروف يمكن ان تلفظ كصوت بشكل أو بأخر ، وهناك بالاضافة الى ذلك بعض الأصوات التي تتكون من حرفين فتلفظان بشكلين مختلفين في حين انهما متشابهان · ومثال آخر على اللغة العربية أيضا فعدد حروفها ٢٨ ولكن أصواتها تتعدد بتعدد الحركات أو التشكيل أو الاعراب مثال ذلك حرف الباء مثلا بٌ ، بَ ، بُ ، بِ ، بٍ ، بٌ" والكلمة الواحدة المكونة من نفس الأحرف في اللغة العربية يمكن ان تتغير في معناها اذا ما لفظت بطريقة أو بأخرى أو ركبت بشكل معين ، بالضم ، أو بالكسر ، أو الرفع ، مثال ذلك كلمة «بر» · المكونة من الأحرف ب ، ر يمكن ان تكون بُر ، بِر ، بَر ··· وغيرها ·

وبالرغم من ان هذه التقسيمات لا تنطبق على جميع اجزاء العالم لكنها معا (العصر الحجري الأول) تشترك في تشابه موجوداتها وتمتاز بان استعمالات الانسان فيها تابعة من استعمال الأدوات الحجرية في الآلات الحادة والفؤوس اليدوية، ثم ان الانسان في هذا العصر كان يرسم الحيوانات على سطوح او جدران الكهوف وكانت الحيوانات المرسومة هي ما تمكن من استعمالها او صيدها مثل الحصان الوحشي ، والغزال والبقر ، والاسماك ، كما اصبحوا في هذا العصر يتجمعون على شواطىء الانهار والبحار والجداول المائية .

٢ ـ العصر الحجري الثاني (النيولتك) أو (الجديد Niolitic)

من ٨ آلاف الى ٣٥٠٠ قبل الميلاد وقد اعتبر العلماء ان هذه الفترة كانت فترة انتقالية لدى الانسان القديم اذ انه أصبح يعتني بالزراعة ـ كزراعة القمح والشعير والذرة ، وازداد لديه عدد الحيوانات الداجنة كالأغنام والماعز والقطعان ـ (البقر ، والخنازير) ـ وفي هذا العصر استطاع الانسان ان يبني البيوت ويستعمل الاقمشة ويرتدي الملابس المنسوجة من شعر الحيوانات ويستبدل ملابسه الجلدية بملابس صوفية وأخرى محيكة .

٣ ـ العصر البرنزي (٣٥٠٠ ق٠م ـ ١٥٠٠ ق٠م) :

وفي هذا العصر تطورت البشرية وبدأ الناس يعيشون على ضفاف الانهار وحولها واستعملوا الري في الزراعة وتقدمت

أساليب حياتهم ، في بناء طرق الري ، والزراعة ، واستعملوا العربات في النقل ، كما استعملوا الحيوانات في الزراعة والنقل ايضا . وظهرت فئة من المختصين والمهنيين كما ظهر التخصص المهني ، فصار هناك : الحائك ، النجار ، البناء ، الكاهن ، المعلم ، الحداد ، البائع ، الفلاح ، التاجر ، والغني ، والفقير ... وهكذا .

٤ ـ العصور القديمة الحديثة من (١٥٠٠ ق٠م ـ ٣٣٠ ق٠م) (العصر الحديدي) :

في هذه الفترة تطورت الثقافة الانسانية ، وبدأت تظهر معالم الأرض ومن عليها ، وبدأ الانسان يستثمر الأرض جيدا ويفلحها ، ويقوم بعمل البساتين والحدائق وأدخل أنواع جديدة من المزروعات كالذرة والفول والبقول والفلفل في أماكن مختلفة ـ من العالم ، وأصبح هناك استقرار في أماكن كبيرة وأماكن صغيرة ، في مدن وقرى (ان صح التعبير) .

وصار الناس يصممون البيوت ويتفننون في صنع الاثاث من المواد الخشبية والغابات ، وعرف استخدام المعادن . ومن ثم صناعتها وخلطها وعمل أدوات وأسلحة متطورة .

٣ ـ الاثنولوجيا Ethnology (علم الثقافات المقارن) :

وهو الفرع الذي يختص بالبحث والدراسة عن نشأة السلالات والأصول الأولى للانسان العاقل ، ويدخل في نطاق ذلك دراسة أصول الثقافات والمناطق الثقافية ، وهجرة الثقافات

وانتشارها والخصائص النوعية لكل منها ، كما يدرس المجتمعات الانسانية في شتى صورها ، وهو العلم الذي يبحث في الأصول والسلالات القديمة وفي طرق الحياة الحديثة في المجتمعات العاصرة وتأثرها بتلك الأصول القديمة ، ولقد نوحظ ان هذا الفرع من الانثروبولوجيا الثقافية كان يلقى اهتماما قليلا بالنسبة لفروع الانثروبولوجيا الأخرى ، وقد قام بعض علماء الانثروبولوجيا في القرن العشرين ببحث الطرق التي تؤثر فيها المفاهيم الاجتماعية المحدودة بسلوك وامزجة الاشخاص ومعرفة الحياة الانسانية للشعوب التي تحيا حياة بسيطة في هذا القرن وخاصة الشعوب التي لا تزال تعيش في استراليا ، وامريكا الجنوبية وافريقيا وبعض اجزاء آسيا ليومنا هذا .

وازداد اهتمام الانثروبولوجيا بدراسة هذا الموضوع (الاثنولوجيا) في هذا العصر وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية لما رأوا فيه من فوائد تعود بالنفع على كثير من الدول التي ترغب في استعمار تلك الشعوب . وكان علماء (الاثنولوجيا) او علم الثقافات المقارن ، والى عهد قريب جداً ، يعتمدون حصر أبحاثهم في الظواهر الاجتماعية والانسانية للمجتمعات الثقافية . وكانوا يعتبرون الفرد كما لو كان مجرد ناقل للثقافة ، او حلقة من سلسلة من الوحدات المتماثلة التي يمكن استبدال الواحدة بالأخرى . ثم بعد عدة دراسات تبين لهؤلاء العلماء ان المعايير الشخصية تختلف باختلاف المجتمعات والثقافات والأفراد .

مراجع الفصل الثالث

١ ـ رالف بيلز ، وهاري هويجر . **مقدمة في الانثروبولوجيا** ص ٢١ .
٢ ـ المرجع السابق . ص ٢١
٣ ـ Tylor, E. **"The Primitive Culture"**, p. 1.
٤ ـ Nicholson, C. **"Anthropology and Education"** p. 7.
٥ ـ عبد الحميد لطفي . **الانثروبولوجيا الاجتماعية** ص ٤١ ـ ١٥٥ .
٦ ـ عاطف وصفي . **الانثروبولوجيا الثقافية** . ص ٤٤ ـ ٦٢ .
٧ ـ Barnouw, V. **"Cultural Anthropology"** p. 7.
٨ ـ المرجع السابق Barnouw ص ١ لا ١٧ .
٩ ـ ابراهيم زرقانه . **الانثروبولوجيا** . ص ١٤٨ .

٢ ـ تصنيف مظاهر الحياة البشرية والحضارية بعد دراستها للوصول الى انماط انسانية عامة في مراتب التطور الحضاري (بدائي ، زراعي ، صناعي ، معرفي) .

٣ ـ تحديد أصول وأسباب التغير الذي يحدث للانسان وعملياته بدقة ، ويكون ذلك بالرجوع الى التراث وربطه بالحاضر وايجاد عناصر التغير المختلفة .

٤ ـ استخلاص مؤشرات وتوقعات للاتجاه المحتمل للتغير في الظواهر المدروسة سابقة الذكر ، وامكانية التنبوء بمستقبل الجماعة المدروسة .

فاذا كان علم الانثروبولوجيا قد نجح في اثبات أي شيء فانه قد أثبت أن الشعوب والاجناس البشرية تتشابه في طبيعتها الأساسية تشابها كبيراً جداً(١١) ، وخاصة في النواحي العضوية والحيوية . ولا شك ان الهدف النهائي والأساسي لعلم الانثروبولوجيا هو **اكتشاف الحدود التي يمكن للناس ان يتكيفوا ضمن نطاقها . ومعرفة انماط الحياة الاجتماعية التي تفرض على الأفراد كل ما يمكن من الضغط والارهاق لكي يسلكوا في الحياة سلوكا طبيعيا دون تعقيد ومشاكل .**

في نفس الوقت علم آخر ولكن من زاوية تختلف عن الزاوية التي يدرسها علم الانسان،فهناك فرع من فروع علم الانسان الثقافي ، وهو علم ما قبل التاريخ Pre - Historic أو ما يطلق عليه احيانا علم الآثار الانسانية Archaeology . هذا الفرع له فرع مثيل في قسم التاريخ هو علم الآثار الذي يدرس الحفريات البشرية والآثار الانسانية ويهتم بكل ما خلفه الانسان من آثار عبر التاريخ · وهناك فرع آخر من فروع علم الانسان هو الانثروبولوجيا التطبيقية وهي فرع له صلة بالعلوم السياسية ودراسة الشعوب المحكومة وهكذا يمكن القول عن اللغويات Linguistics وصلتها بالعلوم اللغوية وعلم اللغات والأصوات الحديثة ··· وفي واقع الأمر لا تنقطع الصلة بين علم الانسان وأي علم آخر لان علم الانسان يبحث في الانسان من كل نواحيه ، وكل العلوم الأخرى لها صلة بهذا الانسان بشكل أو بآخر ·

الهدف من دراسة الانثروبولوجيا :

يتضح الهدف من دراسة الانثروبولوجيا فيما يلي :

١ ـ وصف مظاهر الحياة البشرية والحضارية وصفا دقيقا ، ويتم ذلك بالعيش بين المجموعة أو الجماعة المدروسة وتسجيل كل ما يقومون به من سلوكات في معاملاتهم الحياتية ·

الانثروبولوجيا النفسية
Psychological Anthropology

أو

الثقافة والشخصية
Culture and Personality

ان ظهور هذا الفرع من فروع الاثنولوجيا ساعد علماء النفس على الوصول الى فهم أفضل للمبادىء التي يقوم عليها تشكيل الشخصية ... كما ان البحث في هذا المجال قد أثار اهتمام علماء الاثنولوجيا لدراسة الانماط الأساسية للشخصية في المجتمعات المختلفة .

أما تسمية هذا الفرع بالثقافة والشخصية فيدفعنا الى تعريف هذين المصطلحين بما يتناسب والدراسات الانثروبولوجية التي نحن بصدد دراستها في هذا الكتاب ... فنرى ان رالف لنتون يعرف الشخصية بانها «المجموعة المتكاملة من صفات الفرد العقلية والنفسية ، أي المجموع الاجمالي لقدرات الفرد العقلية واحساساته ومعتقداته ، وعاداته ، واستجاباته العاطفية المشروطة»(٨) ويعرفها في مكان آخر بانها الجمع المنظم للعمليات والحالات النفسية الخاصة بالفرد(٩) ، ولكن كلايد كلوكهون يعرف الشخصية بانها « استمرار الاشكال والقوى الوظيفية التي تظهر من خلال تتابع العمليات

معظم تساؤلاتهم التي يواجهونها وعبارة عن مجموعة النماذج السلوكية التي يسلكونها ، ويحلون مشكلاتهم الحياتية بوصفهم اعضاء يعيشون في جماعة معينة فان الثقافة بهذا المعنى تكون ظاهرة اجتماعية نفسية تتركز في عقول ورؤوس الأفراد الذين ينتسبون لنفس المجتمع والجماعة ، ولهذا ليست هناك أدنى شك في ان الثقافة مسؤولة عن الجزء الأكبر من محتوى أية شخصية ، لان الفرد عندما يولد ويظهر على مسرح الحياة يكون مزودا بعدد من الصفات البيولوجية (العضوية) بالوراثة، ويبدو أن عملية تكوين الشخصية بالدرجة الأولى يعود الى عملية نقل الخبرات للفرد ، وتستمر هذه الخبرات في النمو ويتكون لدى الفرد نتيجة لحياته في المجتمع اطار ثقافي محدد في بيئته المعينة التي يحكمها نظام وتقاليد وسلوكات خاصة بالجماعات المحيطة .

وقد تحدد بعض الثقافات نوع وحجم الفئة من الاشخاص الذين يتصل بهم الفرد اتصالا وثيقا كما تحدد طبيعة هذه الفئة ، ومثال ذلك : (الفرصة المتاحة للفتاة للاتصال بالشباب في مجتمع شرقي محافظ ، تختلف عنها في المجتمع الامريكي المفتوح)(١٥) . بيد أن الثقافة لا تؤثر على جميع الأفراد في المجتمع الواحد وبنفس الطريقة . ومن وجهة النظر هذه يمكن تقسيم تأثير الثقافة الى فئتين :

الفئة الأولى: التاثيرات العامة : وهي التاثيرات التي تحدثها الثقافة في الشخصيات المتطورة لجميع أعضاء المجتمع الذي ينتمي لتلك الثقافة ·

الفئة الثانية: التاثيرات الخاصة : وهي التاثيرات التي تحدثها الثقافة في أشخاص ينتمون الى جماعات أو قطاعات أو فئات معينة من الأفراد يعترف المجتمع بوجودها ·

الشخصية الوطنية/القومية :

ان أفراد أية أمة تتميز عن الأمم الأخرى ليس من حيث الشكل الخارجي والمقاييس الجسمية والثقافية فقط بل ان نفسية كل مجموعة من الأفراد التابعين لأمة واحدة تختلف عن نفسية الأمم الأخرى ··· وذلك لان الفرد منذ الولادة يرتبط سلوكه بسلوك من حولـه وتتكون نفسيته بالتأثير بنفسية مجتمعة وثقافته ولهذا تصبح شخصية الأفراد الذين يعيشون معا متميزة بسمات مشتركة ، حتى بين الجماعة الواحدة يؤثر الدور الذي يقوم به الفرد في المجتمع بسلوكه وحياته وشخصيته فرجل الدين مثلا في المجتمع الامريكي له شخصية معينة ودور معين يقوم به في حين ان رجل الدين في المجتمع الاسلامي أو رجل الدين في المجتمع الافريقي الموغل في الغابات الجنوبية له دور يختلف ·· وكذلك رجل السياسة ، والقاضي ، والطبيب ، والمعلم ·· والأب والأم ··

أما علماء الاجتماع فيعرفون الثقافة بانها التراث الاجتماعي الذي أخذه الجيل الحاضر من الجيل السابق ، وأهمية هذا التراث تنبع من كونه أساسي ولا يمكن للجيل الحاضر الاستغناء عنه ، وهو مكتسب ويتعلمه الفرد من المجتمع الذي يعيش فيه .

هذا ويمكن جمع محتويات التعاريف السابقة الذكر في تعريف عام كما يلي « **الثقافة هي مجموعة الأفكار ، والقيم ، والمعتقدات ، والتقاليد ، والعادات ، والاخلاق ، والنظم ، والمهارات ، وطرق التفكير ، وأسلوب الحياة ، والعرف ، والفن والنحت ، والتصوير ، والرقص الشعبي ، والأدب ، والرواية ، والأساطير ووسائل الاتصال والانتقال ، وكل ما توارثه الانسان واضافة الى تراثه نتيجة عيشه في مجتمع معين .**

عناصر الثقافة :

يرى بعض علماء الانثروبولوجيا انه يمكن تقسيم عناصر الثقافة الى قسمين كبيرين :

أ ـ العناصر المادية :

ويقصد بها ما انتجه الانسان ويمكن اختباره بالحواس المعروفة .

ب ـ العناصر غير المادية :

ويقصد بها العناصر التي تتضمن قواعد السلوك والاخلاق والقيم والعرف والعادات والتقاليد والأساليب الفنية التي تستعملها الجماعة نتيجة لوجود الانسان في مجتمع محدد المعالم .

ولكن بعض علماء الانثروبولوجيا يعتبرون ان هذا التقسيم وهمي لانه من الواجب الاهتمام بالمعاني التي تتصل بالمظاهر المختلفة اكثر من الاهتمام بالشكل المادي الذي قد تتخذه تلك المظاهر ٠

فلو صدف والمت كارثة في مجتمع ما وقضت تلك الكارثة أو لنقل (الطاعون) على كل حياة انسانية في ذلك المجتمع ولم يبق سوى الاشياء المادية فقط كمخترعاتهم الخاصة وادواتهم التي يستعملونها ٠٠٠ وجاء الى هذا المكان مجموعة أخرى أو فئة مختلفة ووجدت تلك الاشياء المادية فانها لن تعرف لماذا اخترعت تلك الأجهزة أو لماذا كانت تستعمل وما هو الهدف من وجودها لان المعاني لهذه الموجودات لم تكن معروفة لهذه الفئة الجديدة ٠

لهذا يجب ان يضع الانسان في تفكيره ان الثقافة أمر غير مادي بل هي سلوك وأسلوب حياة وهي محتوى وضع له الانسان الذي يمارس مكوناته ، المسميات المادية فاصبحت تلك المسميات رموزا ثقافية اطلقها المجتمع على تلك الموجودات ٠

أما عناصر الثقافة المعروفة فقد قسمها «رالف لنتون»(١٣) الى العناصر الثلاث التالية وهي :

١ ـ العالميات أو العموميات Universals

يجب ان يكون مفهوما انه في اطار استعمال اصطلاح العالميات فانه يقصد بذلك محتوى الثقافة ، وليس الشكل ، الذي يتغير من ثقافة لأخرى ٠ وتمثل

الجنازات ـ منح الهدايا ـ منع الزواج بالمحارم ـ التسمية باسم العائلة ـ اللغة ـ القانون ـ الزواج ـ الاحتشام عند قضاء الحاجات الطبيعية ـ العادات الخاصة بالحمل ـ الشعائر الدينية ـ القيود الجنسية ـ تبادل الزيارات ـ الفطام ـ تباين الأوضاع الاجتماعية ـ الاخلاقيات وغيرها كثير من العناصر المشتركة في معظم الثقافات ولكنها تختلف من ثقافة لاخرى من حيث الشكل وليس المحتوى ـ فنظام العائلة في قبيلة من أواسط أفريقيا تختلف عنها في شمال آسيا ولكن المحتوى واحد وهو نظام للعائلة تقوم عليه وتحترمه ولكنه يختلف في الشكل ـ والزواج مثال آخر على ذلك اذ ان عملية الزواج وهي اقتران رجل بامرأة قانونيا ، هذا هو المحتوى ولكن الشكل والطريقة تختلف بين ثقافة وأخرى الا انها في النهاية عملية زواج .

خصائص الثقافة :

تعتبر الثقافة مميزا هاما للانسان عن بقية المخلوقات ولكن هذه الثقافات تختلف من شعب الى شعب ومن أمة الى أمة وحتى في الشعب الواحد تختلف من قرية الى قرية ومن مدينة الى أخرى وهكذا .. فان لكل مجتمع بشري ثقافة خاصة به ولكن تلك الثقافة ليست متطابقة اذ انها تختلف حتى بين الأفراد أنفسهم ، ولكن هناك خصائص عامة توجد في كل ثقافة من الثقافات(١٦) ، تلك الخصائص كانت ولا تزال موجودة في كل

مكان وزمان ، وتعتبر من المميزات العامة التي تمتاز بها الثقافة عن غيرها من الأمور الأخرى .

ومن خصائص الثقافة انها :

١ ـ انسانيـــة :

ان الثقافة ظاهرة تخص الانسان فقط لانها عبارة عن نتاج عقلي ، والانسان يمتاز عن باقي المخلوقات بقدراته العقليـة وامكانياته الابداعية ولا يشارك الانسان هـذه الظاهرة ـ الثقافة ـ أي مخلوق آخر من المخلوقات الحية ، وقد مر الانسان بمراحل تطور كثيرة من الحياة الرعوية الى الحياة الزراعية فالصناعية .. كل ذلك بما وهبه الله من عقل يستطيع فيه ان يفكر ويطور ويبني ويتعظ بما فعله من سبقوه على طريق الحياة ، وهذا المستودع المتراكم من الأفكار والعادات والتقاليد والنظم والمخترعات ، التي كان قد شكلها الانسان وبقي يطورها عبر الاجيال المتلاحقة ويعلمها للاجيال اللاحقة . فالثقافة اذن انسانية من صنع الانسان ولا تنتقل الا بواسطته .

٢ ـ مكتسبـــة :

وهذا يعني ان الانسان يكتسب ثقافته ممن يعيشون حوله منذ ولادته سواء من أمه أو من والده ، أو اخوته أو اقرانه ويستمر في أخذ ثقافته من مجتمعه وبواسطة من يعايشهم ويتعايش معهم ويخالطهم ، أي ان اكتسابه للثقافة لا يكون غريزيا ولا فطريا موروثا كلون عينيه ، أو بشرته ، بل ان

عملية الاكتساب هذه تتم بواسطة أفراد في المجتمع سواء بالطرق المقصودة أو غير المقصودة • ومما يدل على ان الثقافة شيء مكتسب هو وجود أفراد من ثقافات معينة يمارسون ثقافة غير ثقافتهم ويسلكون أسلوب حياة غير أسلوب حياتهم الأصلي الذي ولدوا فيه وذلك نتيجة لعيشهم في مجتمع غير مجتمعهم يدين بثقافة تختلف عن ثقافتهم •

٣ ـ تطوريـــة :

ويعني ذلك ان الثقافة لا تبقي على حالها ـ جامدة ـ في الممارسات الحياتية ، بل انها تتطور الى الاحسن والأفضل ، ولكن التغير والتطور لا يتم في ـ جوهر الثقافة ومحتواها ، بل في الممارسة والطريقة العملية ، ويكون ذلك نتيجة لحاجات الانسان الجديد الذي يعيش في المجتمعات الحديثة ، وعملية التغير في الثقافة لا تتم بنفس الدرجة والحدة والأسلوب ، بل تختلف من ثقافة الى أخرى •

٤ ـ تكامليـــة :

الثقافة ظاهرة متكاملة ، أي انها تشبع الحاجات الانسانية وتريح النفس البشرية لانها تجمع بين العناصر المادية والمعنوية (اللامادية) ثم تجمع كذلك بين المسائل المتصلة بالروح والفكر كالعقيدة الدينية أو النظرية السياسية وبين المسائل المتصلة بحاجات الجسد من طعام وشراب ، وتسد بذلك الحاجات

البيولوجية والنفسية والاجتماعية والاقتصادية ، والفكرية والسياسية والبيئية ، أي ان الثقافة بعموميتها لا تخرج عن كونها أفكارا وأعمالا اخترعها الانسان لسد حاجاته الأولية والثقافية[١٧] .

٥ ـ استمرارية :

بما ان الثقافة ظاهرة تنبع من وجود الجماعة ورضاهم عنها ، وتمسكهم بها ، ونقلها الى الاجيال اللاحقة ، فهي بذلك ليست ملكا لفرد معين ، لذا لا تموت بموت الفرد لانها ملك جماعي وتراث يرثه جميع أفراد المجتمع ، كما انه لا يمكن القضاء على ثقافة ما الا بالقضاء على جميع أفراد المجتمع الذي يتبعها ، أو تذويب تلك الجماعة التي تمارس تلك الثقافة بجماعة أكبر أو أقوى ولا تفنى الثقافة الا اذا انقرض المجتمع الذي يمارسها سواء بالقوة أو الحرب أو السيطرة أو ظهور ثقافة جديدة من منطلق عقائدي جديد قوي ومسيطر ، وهذا أمر يصعب تنفيذه على أرض الواقع .

٦ ـ انتقاليـــة :

الثقافة قابلة للانتقال من جيل الكبار الى جيل الصغار بواسطة عملية التثقيف أو التنشئة الثقافية أو الاجتماعية كما يمكن ان تنقل من فئة الى فئة ، أو من جماعة الى جماعة ، أو شعب الى آخر ولذا فهي بالتالي قابلة للانتشار بين الأمم والاجناس المختلفة وذلك لسهولة أساليب الاتصال الحديثة في المجتمعات المتقدمة .

٧ ـ تنبؤيـــة :

بما ان الثقافة تحدد أسلوب الأفراد وسلوكاتهم في المجتمع فانه بالامكان التنبؤ بما يمكن ان يتصرف به فرد معين ينتمي الى ثقافة معينة لان ثقافته تحتم عليه اسلوباً معيناً تجاه كل مشكلة من المشاكل التي تقابله في حياته اليومية . وهي بالتالي تحدد التصرف الفردي والجماعي في اطار ثقافي محدد . وبخطة مرسومة (أو خارطة) يحملها الفرد معه وبها يحدد مسيرته في حياته العامة .

ويتفق عدد كبير من الانثروبولوجين على الاعتقاد بأن ثقافة أي مجتمع تتميز بالتكامل والترابـط وبوجود صيـغة كلية تجمعها ، وتتمثل تلك الصيغة الكلية في مجموعة من القيم والاتجاهات التي تضفي عليها الثقـافة قيمة كبرى ، وتؤثر تلك القيم والاتجاهات في سلوك الأفراد وشخصياتهم[١٨] اما الصيغة الكلية الواردة الذكر أنفا ، فيوضحها «بندكيت» في مؤلفه ـ نماذج من الثقافة ، بقوله ان كل نموذج ثقافي يحتوي على صيغة كلية أو على محور أو مركز يؤثر في سلوك الأفراد وشخصياتهم وان الذي يخرج في سلوكه على تلك الصيغة الكلية يعد شخصا منحرفا[١٩] .

الفصل السادس

الثقافة والتثقيف

Culture and Enculturation

مستويات الثقافة :

لقد عرفنا الثقافة فيما مضى بتعاريف كثيرة وكما جاءت على السنة علماء الانثروبولوجيا ، ومجمل القول انه لا يوجد تعريف واحد يقول ان الثقافة من صنع انسان فرد أو انها مخترع اخترعه فرد في مجتمع ، بل ان الجميع يتفقون انها نتاج عدة عقود متراكمة ، وانها تراث تزايد على مر العصور وانها عبارة عن عمل جماعي ، ولم يقل أحد انها فردية ..

ونتيجة للتعاريف السابقة الذكر تبين ان الثقافة تنمو رويدا رويدا ، فيبدأ العنصر الثقافي فكرة ثم يتطور ويتحسن ، ويزداد أو ينقص ثم يخرج الى الوجود وتتبعه المجموعة .. ان الحياة الانسانية الحضارية هي مجموعة من التراكمات التي مرت بعصور ومراحل الى ان وصلت الى ما هي عليه الآن . ولكن بعض من يبحثون في الثقافات يخيل اليهم ان هناك مستويات ثقافية أي ان هناك فرد في المجتمع أو مجموعة من الناس لهم مستوى ثقافي معين ، غير ان هذا الكلام لا ينطبق على المستوى الثقافي بالمفهوم الانثروبولوجي العلمي . ان ما يقصد بالمستوى الثقافي العلمي والذي يهتم به علماء الانثروبولوجيا هو تصنيف الثقافة فيما اذا كانت صورة

الثقافة أو تطبيق الثقافة يتبع الأسلوب البدائي الأولى او الأسلوب الحضاري وهنا يمكن قياسه بمقياس ثقافي معين ، اما ما يقيسه الناس أو عامة الناس عندما يقولون المستوى الثقافي انما يقصدون المستوى التعليمي . وهم يرون ان مستوى تعليم الأب ، ومستوى تعليم الأم ، ومستوى الحياة الاقتصادية للعائلة انما هي دلائل على المستوى الثقافي.. ان مفهوم الثقافة Culture بهذا المعنى بعيدا عن الصواب ، وانه لا يجوز لهؤلاء ممن يبحثون عن المستويات الثقافية ان يطلقوا عليها هذا المصطلح التعليمي ، لان التعليم والمستوى التعليمي يعتبر جزء بسيطاً جداً من الثقافة بل هو وسيلة لنقل الثقافة ولا يمكن ان يحكم على الكل بمعرفة جزء بسيط من مكوناته .. فالمستوى الثقافي اذن يمكن ان يعرف بانه الطريقة الحياتية ـ أو طريقة الحياة التي يعيشها جماعة معينة ، فمثلا هناك مستوى ثقافي بدائي ، ومستوى ثقافي زراعي ، ومستوى ثقافي رعوي ، ومستوى ثقافي حضاري ، ومستوى ثقافي صناعي ، وهكذا .

تلك هي المستويات الثقافية ، ولكل مستوى من هذه المستويات مكانته في المجتمع الذي يتبناه ، ولا يمكن ان يوصف أي منها بثقافة متخلفة او تقدمية كما يحلو لبعض الكتاب أو الباحثين أن يصفوا .. وهناك امثلة كثيرة على بعض السلوكات والممارسات التي تنبع من ثقافة معينة وتؤمن

بها تلك الثقافة ولكنها مع ذلك لا تعتبر متخلفة ، لان الثقافة عبارة عن صمام أمان للمجتمع تحفظه من الانهيار • فالثقافة البدائية تؤمن ببعض القيم والنظم والمعايير التي بها تحافظ على ذلك المجتمع ، وكذلك الثقافات المتحضرة تؤمن بقيم ومعايير هي الأخرى تحفظها من الزوال والانهيار •

وفيما يلي بعض الفروق بين الثقافات البدائية البسيطة والثقافات المتمدينة(١) •

الفروق في المستويات

الصفة	الثقافة البدائية	الثقافة المتمدينة
١ ـ الاعتماد في المعيشة	على جمع الطعام والصيد	على الرعي والزراعة والصناعة البسيطة
٢ ـ حجم الجماعة الانسانية	صغير	كبير
٣ ـ التكتل	معاشر وعشائر	قرى زراعية ومدن صناعية وتجارية
٤ ـ التماسك الاجتماعي	متوفر وقوى	ضعيف وقليل
٥ ـ الترابط الاجتماعي	يعتمد على النظام القرابي والاخلاقي	يعتمد على النظام الاقتصادي والشعور القومي
٦ ـ الضبط الاجتماعي	غير رسمي واساسه العرف والتقاليد	رسمي ويعتمد على القوانين والانظمة
٧ ـ التنظيم الاجتماعي	اساسه القرابة	اساسه التخصص في الوظائف والادوار
٨ ـ التعليم	امية	معرفة القراءة والكتابة

الصفة	الثقافة البدائية	الثقافة المتمدينة
٩ـ المعرفة العلمية	ضئيلة	متوفرة
١٠ـ خبرات الافراد	متشابهة	مختلفة
١١ـ مركز الفرد	يقوم على أساس العائلة والقبيلة	يقوم على أساس خبراته ومستواه التعليمي والاقتصادي
١٢ـ المعتقدات الدينية	الاعتقاد بالقوى الغيبية المقدسة	سيطرة الاتجاه المادي وما هو محسوس
١٣ـ النظام السياسي	بسيط (شيخ القبيلة)	معقد (دولة وأجهزتها)
١٤ـ تقسيم العمل	على أساس النوع والجنس والعمر	على أساس الخبرة والتخصص
١٥ـ النظام الاقتصادي	ضعيف وبسيط (تبادل سلع)	قوى ومعقد (تجارة)
١٦ـ الاكتفاء الذاتي	مكتف	غير مكتف
١٧ـ القطاع المادي	بسيط (لا آت)	معقد (الات)
١٨ـ الاتصال	عزله عن الآخرين	اتصال واحتكاك بالآخرين
١٩ـ الاخذ بالثار	قوى	ضعيف وآخذ بالاختفاء

وجدير بالذكر ان مصطلح «البدائي» لا تعني الأول ، او الموغل في القدم ولكنها تعني الثقافة البسيطة وغير المعقدة حيث ان الثقافة المتحضرة أو المتقدمة أو المتمدينة هي الثقافة المعقدة والتي يعيش فيها معظم اجزاء العالم في الوقت الحاضر ، في حين انه لا يزال هناك فئات تعيش الثقافة البدائية ، الثقافة البسيطة في اجزاء من أفريقيا ، وآسيا ، واستراليا ، وامريكا الجنوبية ، واجزاء أخرى من العالم .

مكونات الثقافة :

ان الثقافة تتكون من قطاعات او مكونات رئيسية أي ان المحتوى الثقافي لا يخرج عن كونه مجموعة من القطاعات أو المكونات .. هذه المكونات يمكن تصنيفها في ثلاث فئات كما يلي :

١ ـ المكونات المادية أو ما يسمى القطاع المادي للثقافة .

٢ ـ المكونات الاجتماعية أو ما يسمى القطاع الاجتماعي للثقافة .

٣ ـ المكونات الفكرية أو ما يسمى القطاع الفكري للثقافة .

اما المكونات المادية أو القطاع المادي للثقافة فهي ما يستعمله الانسان في حياته اليومية : أدوات ، وأثاث ، ومسكن ، ووسائل نقل وسفر ، وملبس ، وأسلحة ، ومباني ، وحلى ، وعادات معينة في طريقة الغذاء .

اما المكونات الاجتماعية أو القطاع الاجتماع للثقافة فهو ما يطلق عليه اصطلاح البناء الاجتماعي Social Structure(٢) ، والمقصود هنا النظم الاجتماعية التي عن طريقها تصل مجموعة من السكان الى حالة التكامل والترابط وهي الحالة اللازمة لتكوين المجتمع(٣) ، أو هي الجماعات المستمرة في الوجود لوقت كاف بحيث تستطيع الاحتفاظ بكيانها كجماعات رغم التغيرات التي تحدث للأفراد(٤) .

وصور السلوك الظاهري المنظمة والسائدة منذ الولادة وحتى الموت »(١٠) . ثم يعرفها فيكتور بارنوا بانها تنظيم ثابت لدرجة ما للقوى الداخلية للفرد ، وترتبط تلك القوى بكل مركب من الاتجاهات والقيم والنماذج الثابتة بعض الشيء والخاصة بالادراك الحسي والتي تفسر ـ لدرجة ما ـ ثبات السلوك للفرد(١١) ، فالشخصية اذن **عبارة عن مجموعة الخصائص التي تميز فردا بشريا عن اقرانه من حيث البنية . والمزاج ، والذكاء ، والطبع ، والسلوك .**

اما الثقافة فيرى تايلور بانها « ذلك المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات التي يكتسبها الانسان بوصفه عضو في مجتمع »(١٢) .

كما يعرفها بيلز وهويجر بانها « تجريد مأخوذ من السلوك الانساني الملاحظ حسيا ولكنها ليست هي ذلك السلوك »(١٣) ، ثم عرفها مورجان بانها « مجموعة النماذج السلوكية والاتجاهات والقيم التي يساهم بها الأفراد وتنتقل بواسطة المجتمع نفسه »(١٤) .

وما دامت الثقافة هي كل ذلك ومجموعة الأفكار والعادات التي يتعلمها الأفراد ويشتركون فيها وينقلونها من جيل الى آخر ، وهي التي تزود هؤلاء الأفراد باجابات جاهزة عن

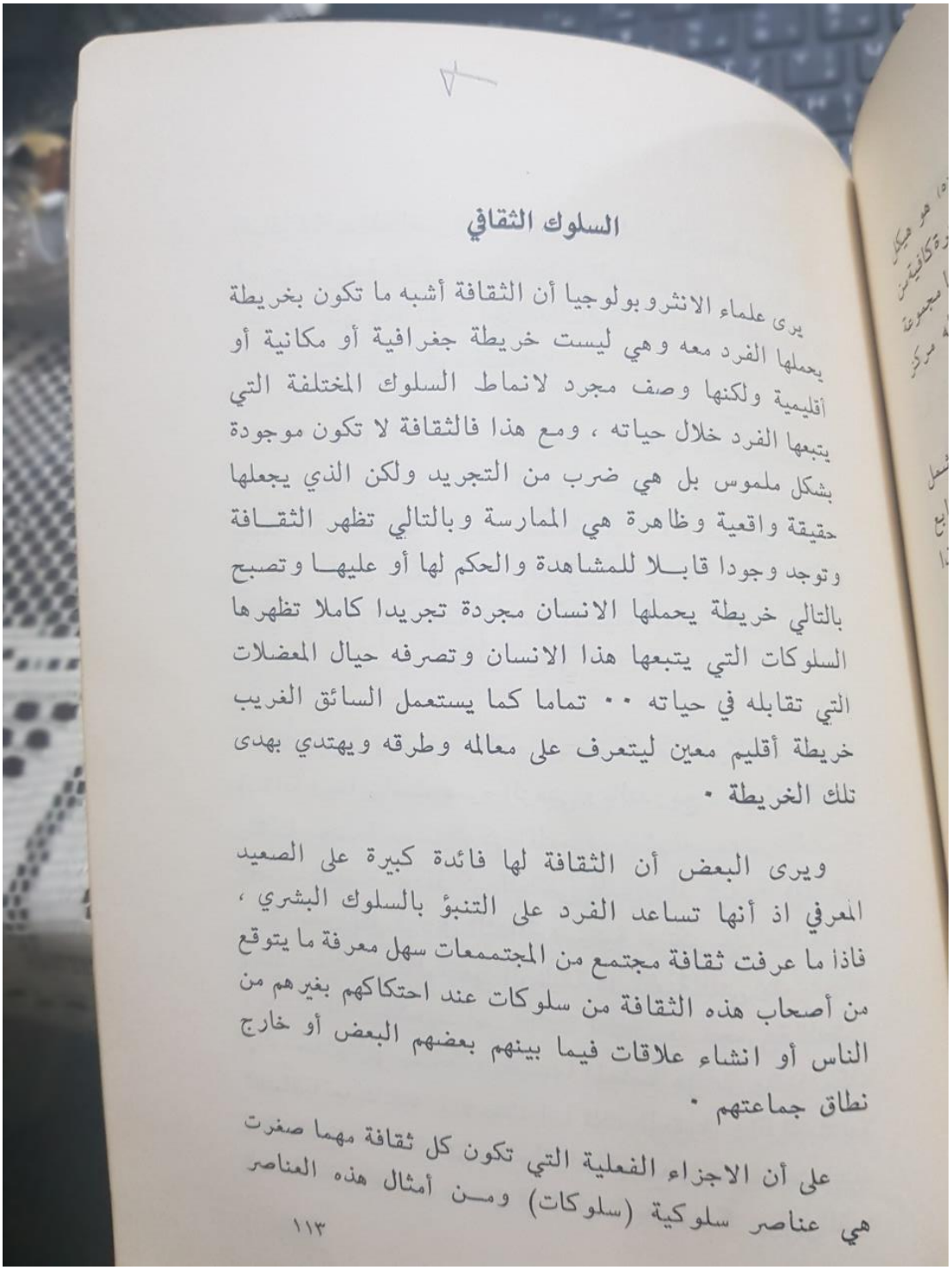

السلوك الثقافي

يرى علماء الانثروبولوجيا أن الثقافة أشبه ما تكون بخريطة يحملها الفرد معه وهي ليست خريطة جغرافية أو مكانية أو أقليمية ولكنها وصف مجرد لانماط السلوك المختلفة التي يتبعها الفرد خلال حياته ، ومع هذا فالثقافة لا تكون موجودة بشكل ملموس بل هي ضرب من التجريد ولكن الذي يجعلها حقيقة واقعية وظاهرة هي الممارسة وبالتالي تظهر الثقافة وتوجد وجودا قابلا للمشاهدة والحكم لها أو عليها وتصبح بالتالي خريطة يحملها الانسان مجردة تجريدا كاملا تظهرها السلوكات التي يتبعها هذا الانسان وتصرفه حيال المعضلات التي تقابله في حياته .. تماما كما يستعمل السائق الغريب خريطة أقليم معين ليتعرف على معالمه وطرقه ويهتدي بهدى تلك الخريطة .

ويرى البعض أن الثقافة لها فائدة كبيرة على الصعيد المعرفي اذ أنها تساعد الفرد على التنبؤ بالسلوك البشري ، فاذا ما عرفت ثقافة مجتمع من المجتمعات سهل معرفة ما يتوقع من أصحاب هذه الثقافة من سلوكات عند احتكاكهم بغيرهم من الناس أو انشاء علاقات فيما بينهم بعضهم البعض أو خارج نطاق جماعتهم .

على أن الاجزاء الفعلية التي تكون كل ثقافة مهما صغرت هي عناصر سلوكية (سلوكات) ومن أمثال هذه العناصر

السلوكية ـ العناصر الفكرية ، والعناصر الكلامية ، وعناصر أخرى ضمنية توجد ضمن هذه العناصر أو ضمن ظواهر أخرى ولكنها معا تكون أجزاء السلوكات المختلفة التي يظرها الفرد نتيجة عيشه في مجتمعه ٠

ولكن شكل الثقافة ومحتواها ومكوناتها لا يمكن معرفتها أو دراستها الا من خلال السلوك الثقافي أي السلوك الذي يتبعه الفرد نتيجة تثقيفه بثقافة معينة ، ومصطلح السلوك في هذا المجال يمكن استعماله في اوسع معانيه وهو سلوك ثقافي أي طريقة حياتية لا تضم الاشياء العادية فقط بل تضم كل الاشياء المصنوعة والفكرية في الثقافة ٠

فالطفل ـ يولد في ثقافة ما فيتعلم كل ما جهز له من محتوى الثقافة وبما يناسب عمره الزمني وبالتدريج ، أي انه يتثقف بثقافة مجتمعة حسب مركزه العمري ٠ ثم حسب مرتبة معينة تحددها طبقته أو المركز العائلي الذي ولد فيه ٠ فهنا اذن مركز معين لكل فرد في الثقافة ومرتبة ترتكز على هذا المركز وغالبا ما تكون قائمة على الوظيفة أو المهنة التي يقوم بها(٧) ويعتبر المركز الاجتمـاعي Social Status هو مجموعة الحقوق والواجبات التي يمنحها ويفرضها المجتمع على من يشغل مكانا اعتباريا معينا فيه ، وحيث ان تلك الحقوق والواجبات لا يمكن ان تتجسد الا حين يملاء أفراد المجتمع المركز الاجتماعي، فمن الصعب جدا ان نفصل في تفكيرنا بين المركز وبين الفرد

أدواره في تلك المجموعات الاجتماعية كلها ، ويحدد ما يقوم به نحو مجتمعه وما يتوقعه هو من ذلك المجتمع(٩) .

فمرتبة أو مركز الطبيب له خواص اجتماعية معينة وله متطلبات وكفاءات وعليه التزامات يجب القيام بها ، أي له دور يجب ان يقوم به تجاه الجماعة والمجتمع الذي يعيش فيـه ، وكذلك المهندس والمعلم والمحامي والنجار والسائق والحداد وكل مهني يدوي .

والحياة في المجتمع تتطلب ممارسة في ضوء الثقافة التي تراكمت على مدى أجيال الجماعة المعينة ، ولذا فان السلوك الثقافي عملية مدروسة ومرسومة ، وقـد وضعها الكبـار في المجتمع ليسير عليها الصغار ويتعلموها في اطار اجتماعي ثقافي، وفي هذا الاطار يظهر مركز كل فرد في المجتمع ودوره الذي يجب ان يقوم به والمركز الذي يحتله ، وعلى أي حال لا يمكن ان يتخطى دور أي فرد ولا مركزه الاطار الثقافي الموضوع بدقة لأن تخطي ذلك يحدث خللا في النظام الاجتماعي للمجتمع، ولكي يضمن المجتمع التزام أفراده بسلوك ثقافي معين ، يضع ضوابط اجتماعية أو معايير تتحكم في سلوك الأفراد وتخضعها لسلوك المجموعة المحيطة ، ففي بعض الثقافات يكون الرادع من الداخل أي من داخل الفرد وهذا يكون داخلي غرسته في الفرد تربيته وما ثقف به بواسطة والديه ومعلميه وأهله ومن اختلط بهم اثناء حياته منذ الطفولة نتيجة تعلمه الخير والشر

والصالح وغير الصالح ، والصواب والخطأ ... هذا التثقيف
أو التعليم المبكر يكون نابعا من ثقافة المجتمع الذي عاش
فيه الفرد .

اما الرادع الخارجي فيكون من الجماعة المحيطة التي تعرف الثقافة الخاصة بها وتسير بظلها فاذا ما حاد فرد عن السلوك الذي ترضاه الجماعة فان الجماعة تقوم بردع الفرد ورده الى ساحتها والتعييب عليه والاستهزاء منه وقد يؤدي ذلك في أقصى حالات الخروج على ثقافة الجماعة ان ينبذ الفرد من جماعته ويعتبر خارجا على نظامها وثقافتها فيلفظه المجتمع وتمجه الجماعة .

اما المشكلات الاجتماعية التي تظهر في المجتمع فيكون سبب ظهورها عندما لا يقوم عدد كبير من أفراد المجتمع بالادوار التي حددتها لهم ثقافتهم بل يقومون بادوار مختلفة عن مجتمعهم وقد تكون دخيلة عليهم وعلى ثقافتهم أو محوره محرفة عن تلك الثقافة فيمارسها الأفراد ويتزعزع المجتمع نتيجة لخلط الثقافات وظهور (الصرعات) والموضات الجديدة التي قد لا تتناسب والثقافة المتبعة للجماعة المعينة .

ان الوضع العام في مجتمع ما يختلف عنه في أي مجتمع آخر ، لان لكل مجتمع على حدة نماذج من السلوك يسير في ظلها ـ نماذج سلوك فردية يتبعها الأفراد نابعة من نماذج سلوك جماعية عامة يرضى عنها الجماعة ـ ومع ان أوضاع

لها جميع الأفراد في مجتمعهم ولم يحلل لهم ما يحرم على غيرهم أو يحلل لهم القيام بأعمال متناقضة مع ثقافة مجتمعهم الذي يعيشون فيه ولم يسمح لهم بالتحلل من القيم والنظم والعادات والمعتقدات المتبعة ، الا ان هذا الدور الذي وجد وتلك المرتبة اضافة بالتالي دورا جديدا لعضو في المجتمع ولكن هذا لا يخرجه عن الاطار الثقافي للجماعة التي هو عضو فيها .

وفي القرن العشرين ظهرت وظائف جديدة أخرى مثل وظيفة رجال الفضاء الذين يذهبون لاكتشاف عوالم جديدة ، هؤلاء الرجال صار لهم وظيفة ومركز ومرتبة جديدة ويقومون بأدوار معينة ولكنهم أيضا كأي عضو من اعضاء المجتمع لا يمكنهم الخروج عن الاطار الثقافي للجماعة وسلوكهم يحكمه مرتبتهم أو مركزهم والدور الذي يقومون بـه مرسوم لهم ولخدمة مجتمعهم وثقافتهم ولذا لا يسمح لهم بما لا يسمح به لغيرهم من أعضاء المجتمع لأن الاطار الاجتماعي الثقافي العام يحكم كل اعضاء المجتمع وهـو الذي تضبطه ثقافـة الجماعة . وهكذا نجد ان ازدياد التخصص في أي مجتمع يزيد الأدوار التي يقوم بها الأفـراد وكذلك تزيـد المراكز والمرتبات الجديدة .

فالاكتشافات والاختراعات في أي ثقافة تؤدي الى اضافة عناصر ووظائف وأدوار ومراكز جديدة في المجتمع ومن هنا يأتي التغير في محتوى الثقافة ويظهر التطور الثقافي ، وهؤلاء

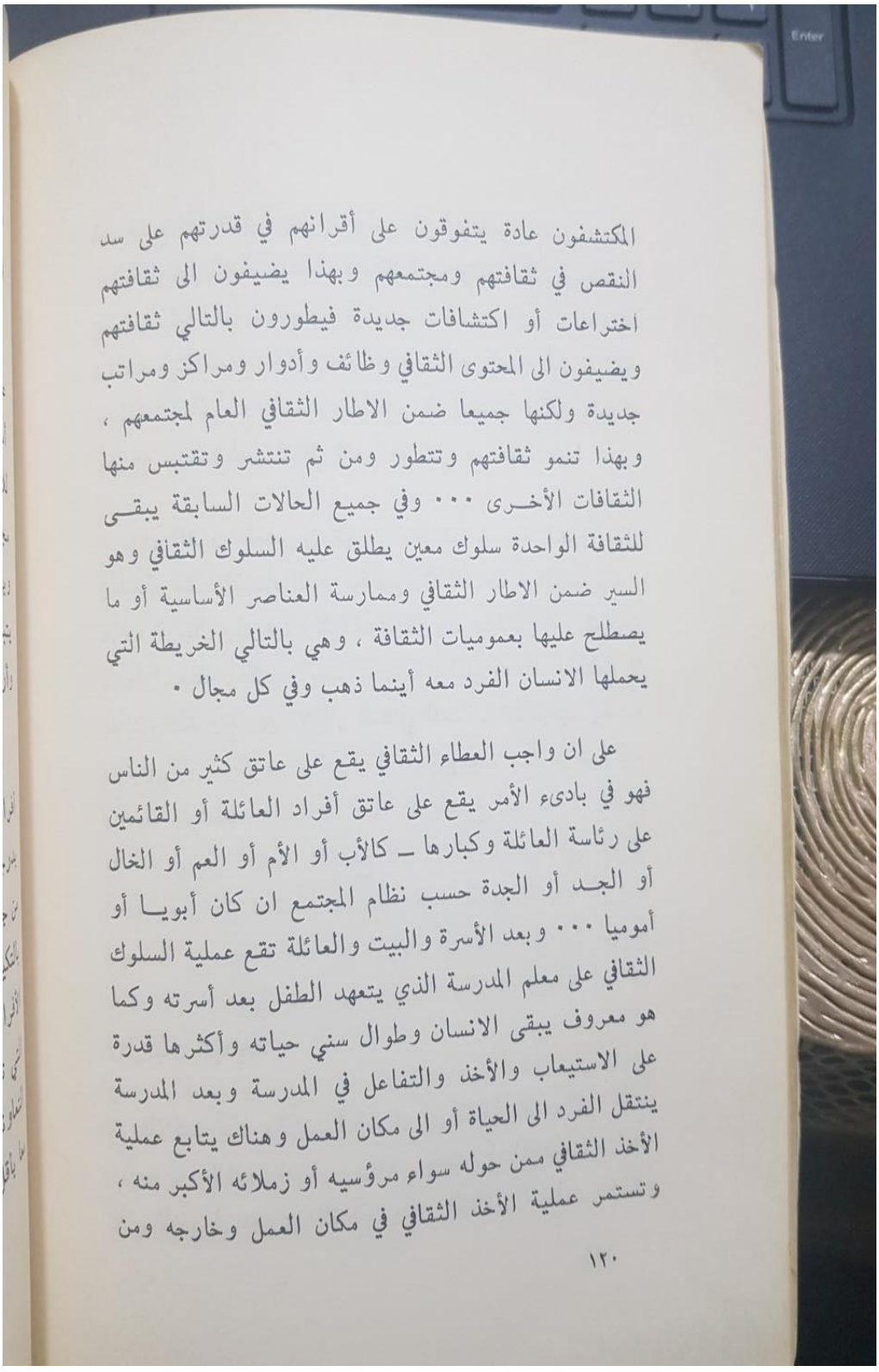

المكتشفون عادة يتفوقون على أقرانهم في قدرتهم على سد النقص في ثقافتهم ومجتمعهم وبهذا يضيفون الى ثقافتهم اختراعات أو اكتشافات جديدة فيطورون بالتالي ثقافتهم ويضيفون الى المحتوى الثقافي وظائف وأدوار ومراكز ومراتب جديدة ولكنها جميعا ضمن الاطار الثقافي العام لمجتمعهم ، وبهذا تنمو ثقافتهم وتتطور ومن ثم تنتشر وتقتبس منها الثقافات الأخرى ... وفي جميع الحالات السابقة يبقى للثقافة الواحدة سلوك معين يطلق عليه السلوك الثقافي وهو السير ضمن الاطار الثقافي وممارسة العناصر الأساسية أو ما يصطلح عليها بعموميات الثقافة ، وهي بالتالي الخريطة التي يحملها الانسان الفرد معه أينما ذهب وفي كل مجال .

على ان واجب العطاء الثقافي يقع على عاتق كثير من الناس فهو في بادىء الأمر يقع على عاتق أفراد العائلة أو القائمين على رئاسة العائلة وكبارها ـ كالأب أو الأم أو العم أو الخال أو الجد أو الجدة حسب نظام المجتمع ان كان أبويا أو أموميا ... وبعد الأسرة والبيت والعائلة تقع عملية السلوك الثقافي على معلم المدرسة الذي يتعهد الطفل بعد أسرته وكما هو معروف يبقى الانسان وطوال سني حياته وأكثرها قدرة على الاستيعاب والأخذ والتفاعل في المدرسة وبعد المدرسة ينتقل الفرد الى الحياة أو الى مكان العمل وهناك يتابع عملية الأخذ الثقافي ممن حوله سواء مرؤسيه أو زملائه الأكبر منه ، وتستمر عملية الأخذ الثقافي في مكان العمل وخارجه ومن

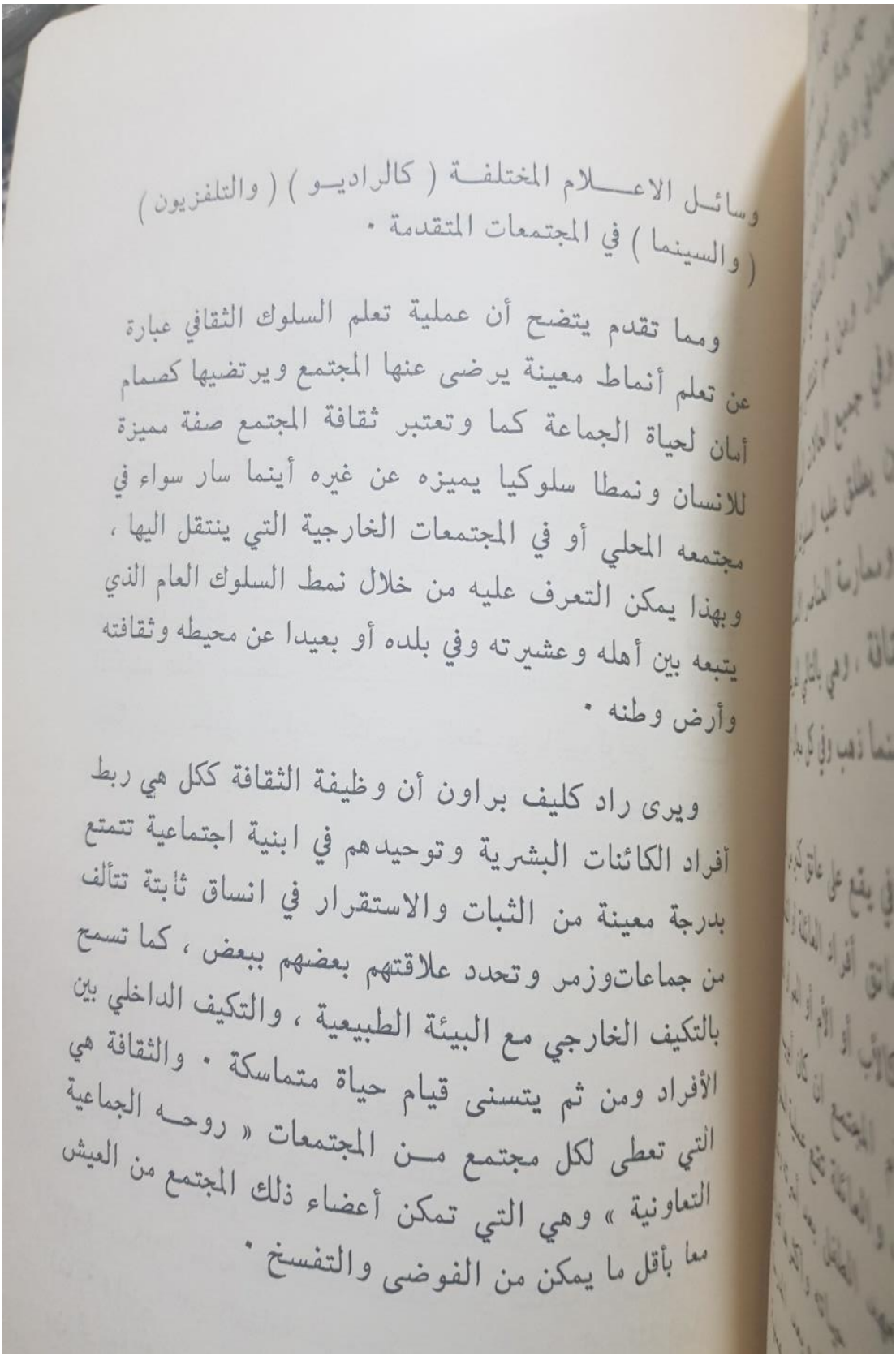

وسائل الاعلام المختلفة (كالراديو) (والتلفزيون) (والسينما) في المجتمعات المتقدمة .

ومما تقدم يتضح أن عملية تعلم السلوك الثقافي عبارة عن تعلم أنماط معينة يرضى عنها المجتمع ويرتضيها كصمام أمان لحياة الجماعة كما وتعتبر ثقافة المجتمع صفة مميزة للانسان ونمطا سلوكيا يميزه عن غيره أينما سار سواء في مجتمعه المحلي أو في المجتمعات الخارجية التي ينتقل اليها ، وبهذا يمكن التعرف عليه من خلال نمط السلوك العام الذي يتبعه بين أهله وعشيرته وفي بلده أو بعيدا عن محيطه وثقافته وأرض وطنه .

ويرى راد كليف براون أن وظيفة الثقافة ككل هي ربط أفراد الكائنات البشرية وتوحيدهم في ابنية اجتماعية تتمتع بدرجة معينة من الثبات والاستقرار في انساق ثابتة تتألف من جماعاتوزمر وتحدد علاقتهم بعضهم ببعض ، كما تسمح بالتكيف الخارجي مع البيئة الطبيعية ، والتكيف الداخلي بين الأفراد ومن ثم يتسنى قيام حياة متماسكة . والثقافة هي التي تعطى لكل مجتمع من المجتمعات « روحه الجماعية التعاونية » وهي التي تمكن أعضاء ذلك المجتمع من العيش معا بأقل ما يمكن من الفوضى والتفسخ .

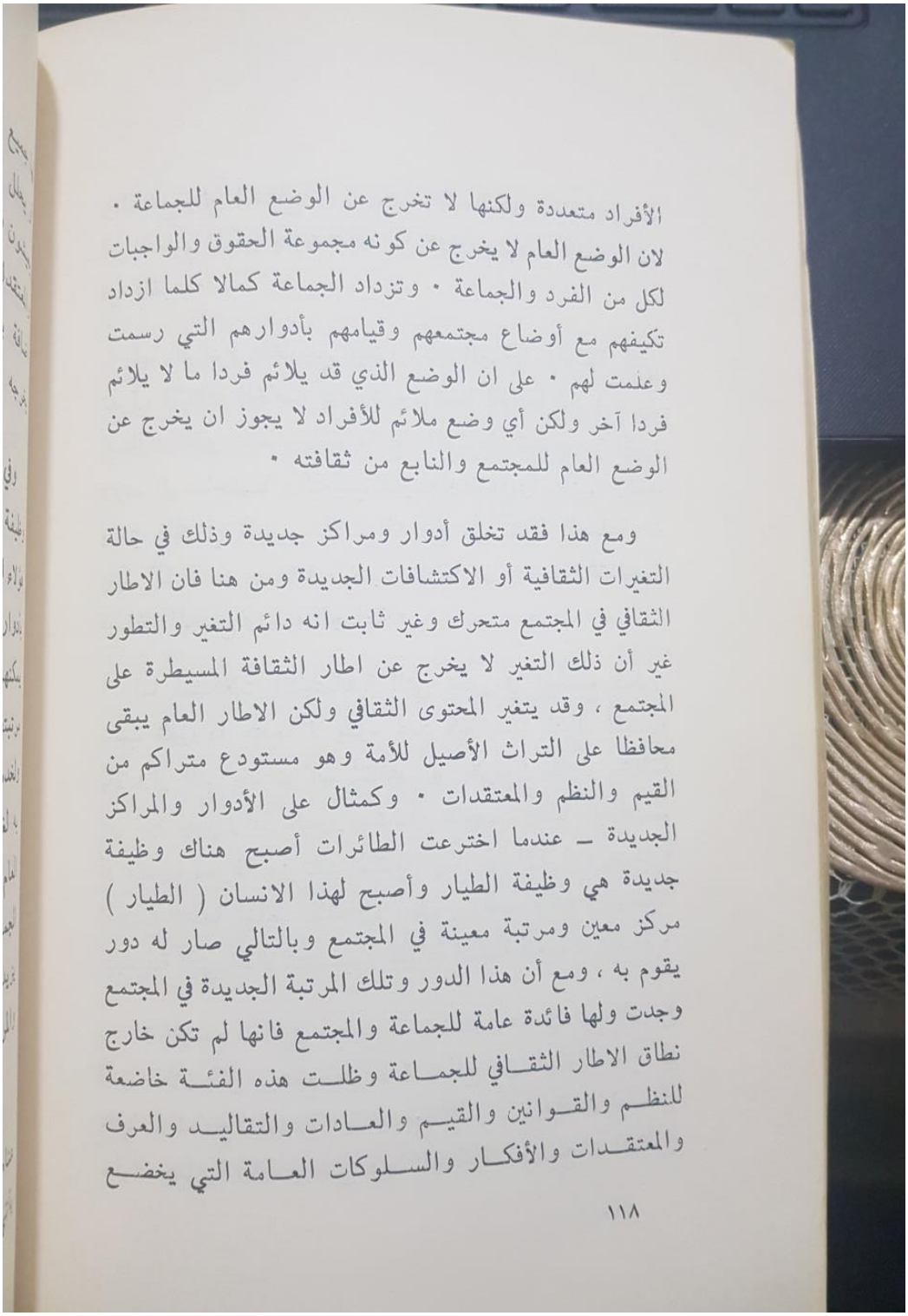

الأفراد متعددة ولكنها لا تخرج عن الوضع العام للجماعة . لان الوضع العام لا يخرج عن كونه مجموعة الحقوق والواجبات لكل من الفرد والجماعة . وتزداد الجماعة كمالا كلما ازداد تكيفهم مع أوضاع مجتمعهم وقيامهم بأدوارهم التي رسمت وعلمت لهم . على ان الوضع الذي قد يلائم فردا ما لا يلائم فردا آخر ولكن أي وضع ملائم للأفراد لا يجوز ان يخرج عن الوضع العام للمجتمع والنابع من ثقافته .

ومع هذا فقد تخلق أدوار ومراكز جديدة وذلك في حالة التغيرات الثقافية أو الاكتشافات الجديدة ومن هنا فان الاطار الثقافي في المجتمع متحرك وغير ثابت انه دائم التغير والتطور غير أن ذلك التغير لا يخرج عن اطار الثقافة المسيطرة على المجتمع ، وقد يتغير المحتوى الثقافي ولكن الاطار العام يبقى محافظا على التراث الأصيل للأمة وهو مستودع متراكم من القيم والنظم والمعتقدات . وكمثال على الأدوار والمراكز الجديدة ـ عندما اخترعت الطائرات أصبح هناك وظيفة جديدة هي وظيفة الطيار وأصبح لهذا الانسان (الطيار) مركز معين ومرتبة معينة في المجتمع وبالتالي صار له دور يقوم به ، ومع أن هذا الدور وتلك المرتبة الجديدة في المجتمع وجدت ولها فائدة عامة للجماعة والمجتمع فانها لم تكن خارج نطاق الاطار الثقافي للجماعة وظلت هذه الفئة خاضعة للنظم والقوانين والقيم والعادات والتقاليد والعرف والمعتقدات والأفكار والسلوكات العامة التي يخضع

لها جميع الأفراد في مجتمعهم ولم يحلل لهم ما يحرم على غيرهم أو يحلل لهم القيام بأعمال متناقضة مع ثقافة مجتمعهم الذي يعيشون فيه ولم يسمح لهم بالتحلل من القيم والنظم والعادات والمعتقدات المتبعة ، الا ان هذا الدور الذي وجد وتلك المرتبة اضافة بالتالي دورا جديدا لعضو في المجتمع ولكن هذا لا يخرجه عن الاطار الثقافي للجماعة التي هو عضو فيها .

وفي القرن العشرين ظهرت وظائف جديدة أخرى مثل وظيفة رجال الفضاء الذين يذهبون لاكتشاف عوالم جديدة ، هؤلاء الرجال صار لهم وظيفة ومركز ومرتبة جديدة ويقومون بأدوار معينة ولكنهم أيضا كأي عضو من اعضاء المجتمع لا يمكنهم الخروج عن الاطار الثقافي للجماعة وسلوكهم يحكمه مرتبتهم أو مركزهم والدور الذي يقومون بـه مرسوم لهم ولخدمة مجتمعهم وثقافتهم ولذا لا يسمح لهم بما لا يسمح به لغيرهم من أعضاء المجتمع لأن الاطار الاجتماعي الثقافي العام يحكم كل اعضاء المجتمع وهـو الذي تضبطه ثقافة الجماعة . وهكذا نجد ان ازدياد التخصص في أي مجتمع يزيد الأدوار التي يقوم بها الأفـراد وكذلك تزيـد المراكز والمرتبات الجديدة .

فالاكتشافات والاختراعات في أي ثقافة تؤدي الى اضافة عناصر ووظائف وأدوار ومراكز جديدة في المجتمع ومن هنا يأتي التغير في محتوى الثقافة ويظهر التطور الثقافي ، وهؤلاء

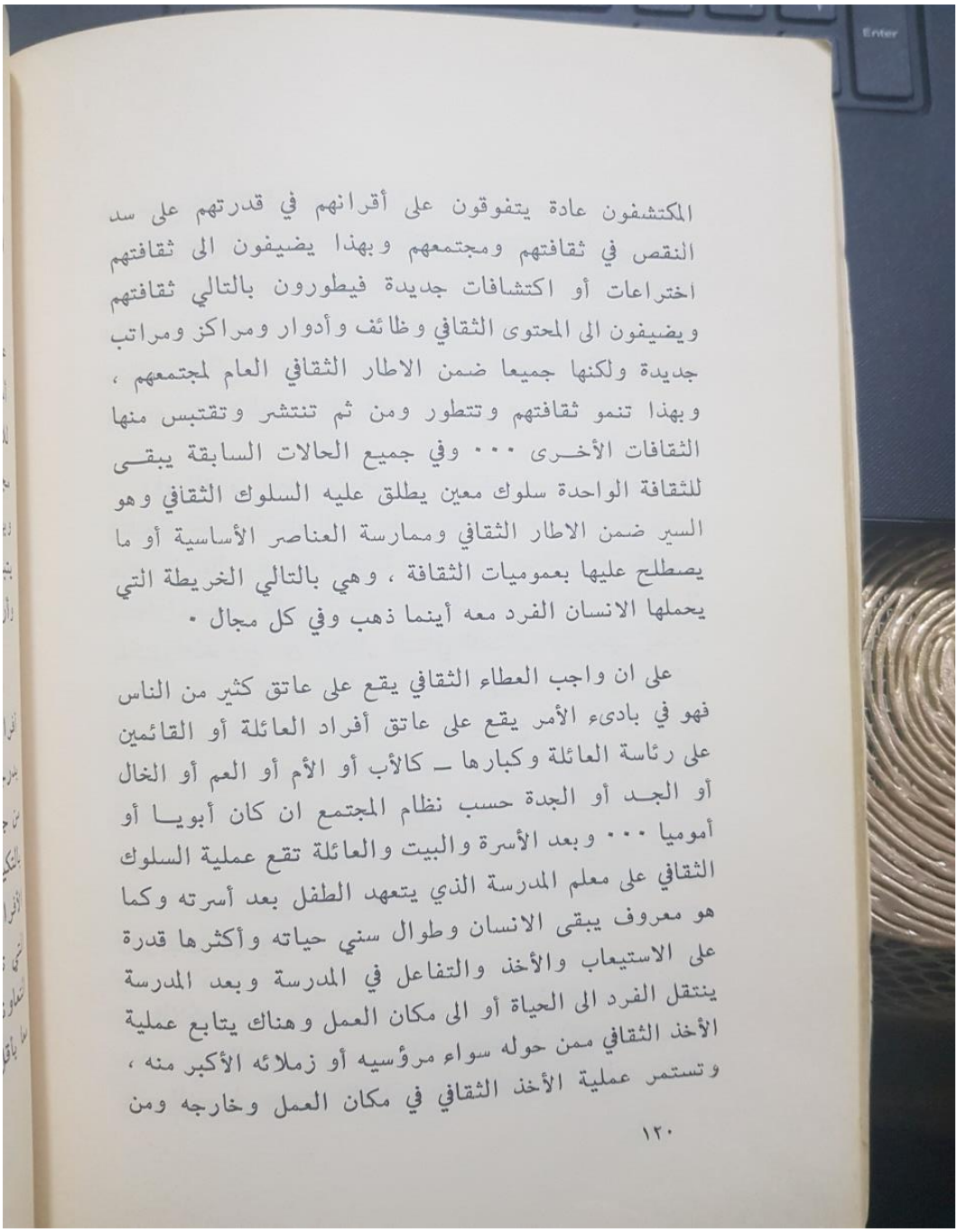

المكتشفون عادة يتفوقون على أقرانهم في قدرتهم على سد النقص في ثقافتهم ومجتمعهم وبهذا يضيفون الى ثقافتهم اختراعات أو اكتشافات جديدة فيطورون بالتالي ثقافتهم ويضيفون الى المحتوى الثقافي وظائف وأدوار ومراكز ومراتب جديدة ولكنها جميعا ضمن الاطار الثقافي العام لمجتمعهم ، وبهذا تنمو ثقافتهم وتتطور ومن ثم تنتشر وتقتبس منها الثقافات الأخـرى ... وفي جميع الحالات السابقة يبقـى للثقافة الواحدة سلوك معين يطلق عليه السلوك الثقافي وهو السير ضمن الاطار الثقافي وممارسة العناصر الأساسية أو ما يصطلح عليها بعموميات الثقافة ، وهي بالتالي الخريطة التي يحملها الانسان الفرد معه أينما ذهب وفي كل مجال .

على ان واجب العطاء الثقافي يقع على عاتق كثير من الناس فهو في بادىء الأمر يقع على عاتق أفراد العائلة أو القائمين على رئاسة العائلة وكبارها ـ كالأب أو الأم أو العم أو الخال أو الجـد أو الجدة حسب نظام المجتمع ان كان أبويـا أو أموميا ... وبعد الأسرة والبيت والعائلة تقع عملية السلوك الثقافي على معلم المدرسة الذي يتعهد الطفل بعد أسرته وكما هو معروف يبقى الانسان وطوال سني حياته وأكثرها قدرة على الاستيعاب والأخذ والتفاعل في المدرسة وبعد المدرسة ينتقل الفرد الى الحياة أو الى مكان العمل وهناك يتابع عملية الأخذ الثقافي ممن حوله سواء مرؤسيه أو زملائه الأكبر منه ، وتستمر عملية الأخذ الثقافي في مكان العمل وخارجه ومن

وسائل الاعلام المختلفة (كالراديو) (والتلفزيون) (والسينما) في المجتمعات المتقدمة .

ومما تقدم يتضح أن عملية تعلم السلوك الثقافي عبارة عن تعلم أنماط معينة يرضى عنها المجتمع ويرتضيها كصمام أمان لحياة الجماعة كما وتعتبر ثقافة المجتمع صفة مميزة للانسان ونمطا سلوكيا يميزه عن غيره أينما سار سواء في مجتمعه المحلي أو في المجتمعات الخارجية التي ينتقل اليها ، وبهذا يمكن التعرف عليه من خلال نمط السلوك العام الذي يتبعه بين أهله وعشيرته وفي بلده أو بعيدا عن محيطه وثقافته وأرض وطنه .

ويرى راد كليف براون أن وظيفة الثقافة ككل هي ربط أفراد الكائنات البشرية وتوحيدهم في ابنية اجتماعية تتمتع بدرجة معينة من الثبات والاستقرار في انساق ثابتة تتألف من جماعات وزمر وتحدد علاقتهم بعضهم ببعض ، كما تسمح بالتكيف الخارجي مع البيئة الطبيعية ، والتكيف الداخلي بين الأفراد ومن ثم يتسنى قيام حياة متماسكة . والثقافة هي التي تعطى لكل مجتمع من المجتمعات « روحه الجماعية التعاونية » وهي التي تمكن أعضاء ذلك المجتمع من العيش معا بأقل ما يمكن من الفوضى والتفسخ .

التثقيـــف
Enculturation

يبدأ كل فرد في المجتمع التأثر بثقافة مجتمعه منذ ولادته سواء كان ذلك بالطريقة التي تتم بها الولادة ، أو طريقة الاعتناء بالمولود بعد الولادة مباشرة وطريقة الباسه ونوع ملابسه(١٠) وفي البداية يكون الطفل عضوا بيولوجيا مئة بالمئة ومن ثم يبدأ في أخذ ثقافته ممن حوله شيئا فشيئا الى ان يصبح انسانا اجتماعيا بواسطة ما يعطى من وسائل تثقيفية يمارسها الكبار أمامه من أجل تنشئته ، ويطلق على عملية التكيف تلك مصطلح التثقيف Enculturation • وهي التي تجعل من الطفل الوليد الكائـن العضوي البيولوجي كائنـاً اجتماعياً(١١) ويـرى معظم العلماء الانثروبولوجيين الذين يبحثون في شؤون الانسان ان الأبوين هما أول وأهم من يقوم بعملية التثقيف ولكن هـذا ليس شرطـا اساسيا في عملية التثقيف اذ ان هناك فئة من الايتام أو اللقطاء تقوم بعملية تثقيفهم مؤسسات أخرى غير المنزل والوالدين •

وتشير الدراسات الانثروبولوجية في هذه الناحية ان الطفل يبدأ في التحرك بعيدا عن السلوكات البيولوجية شيئا فشيئا والاقتراب من السلوكات الثقافية مع العلم أن الطفل في مراحله الأولى يمكن اعطائه أي ثقافة مختلفة عن ثقافته الأصلية أو ثقافة والديه لان الثقافة شيء مكتسب ولا دخل للوراثة فيها من قريب أو بعيد(١٢) وكل مجتمع يصر على ان يكيف أطفاله

مع الثقافة التي يتبعها ذلك المجتمع ، غير ان الطفل لن يصبح بين يوم وليلة متكيفا بل يجب ان يتدرب على ذلك ويعطى المظاهر الثقافية التي تتناسب مع نموه العقلي والجسمي والعاطفي ، فما يمكن السماح بممارسته لطفل في سن معين لا يسمح بممارسته وهو في سن أكثر نضجا ، وهكذا يتعلم الطفل الخير والشر والسلوك المفضل في مواقف حياته وفي الوقت الذي يصل فيه الى النضج يصبح قادرا على التصرف بمعقولية تجاه مطالب ثقافته • فالانسان يولد بطاقات هائلة للتعلم ، ففي سن الخامسة أو السادسة يتحكم معظم الأطفال في العالم وفي كل الثقافات في مجموعة ضخمة معقدة من السلوكات • فهم يتصرفون كما لو ان في رؤوسهم خططا عظيمة للعمل في كل المواقف التي يتوقعون ان يجدوا أنفسهم فيها ، وباختصار فهم قادرون بصفة عامة العيش على آمال وتطلعات والديهم وأقاربهم واصدقائهم واعضاء آخرين من بيئتهم الاجتماعية ممن يقعون تحت تأثيرهم • وفي الوقت الذي يصلون فيه الى ما يسمى بسن المدرسة فانهم يكونون قد تربوا ليصبحوا اعضاء نامين في مجتمعاتهم ، ويصبح الجزء الأكبر من سلوكاتهم الاجتماعية الأساسية قد تمت السيطرة عليه • فالأطفال العاديين قادرون على التعلم والتثقيف بالثقافة المحيطة بهم أو الثقافة التي يريدها الكبار في مجتمعهم الذي يعيشون فيه • وهناك قدرات يقوم بها الطفل الانساني وتميزه عن غيره من المخلوقات مثل القدرة على الخلق والفهم واستعمال المجموعات المعقدة للرموز العقلية والتفكير والتصرف حيال

المشاكل ، ومعظم مـا تبقى من انماط الحياة العامة بعـد الحصول على القوت واللغة وما يتعلمه الطفل على نفس النمط أي بواسطة الكبار ٠

وبعملية التثقيف يتمكن الطفل من التحكم في مجموعة ضخمة ومعقدة من السلوكات والأفكار التي لها علاقة بالهوية الشخصية والطرق المقبولة للتفاعل مع الآخرين من جميع الأنواع وانشاء علاقات معهم ٠٠ ولكن ذلك لا يعني ان جميع الأفراد يتشابهون في سلوكاتهم وطرق حياتهم لانها نابعة من ثقافتهم الموحدة ، فبرغم وحدة الثقافة فانه لا يتشابه اثنان من بني البشر تماما في تعلم ثقافتهم ، ولا أحد يستطيع بالكامل ان يغطي جميع متطلبات أي بناء اجتماعي ، ولعله لهذا السبب يكون هناك مستوى للحد الأدنى المشترك من الموائمة في النظم الثقافية أي ان يكون هناك مجموعة من السلوكات الحياتية لا بد منها كي يصبح الانسان منتميا لثقافة معينة ٠ وبهذه الطريقة يصبح من الممكن لمجموعة من الناس ان يكون لهم ثقافة ــ فهناك قاسم مشترك من السلوكات والمعتقدات يجب ان تتوافر في الفرد كي ينتمي لثقافة ما ٠ وهذه المشاركة هي التي تجعل تلك الدرجة من النظام والتنبوء ضروريا ليس فقط لديمومة وبقاء أي ثقافة وانما لتجعل الوجود الاجتماعي للفرد واضحا ومميزا ٠

وبدون التفاهـم المشترك والمعتقدات والنظـم الخاصة بثقافة ما فانه من النادر ان يعرف الفرد كيف يسير في مجتمعه

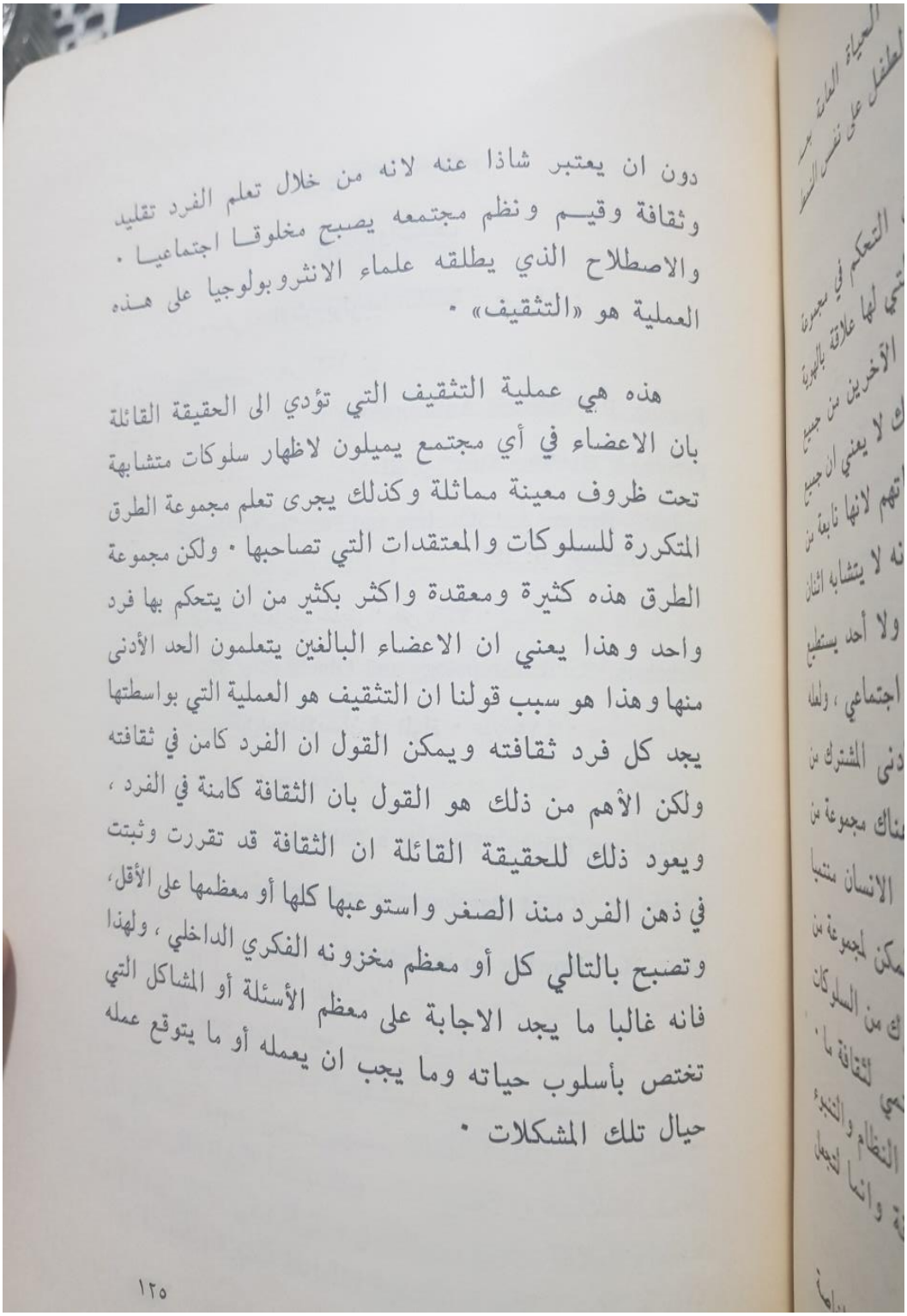

دون ان يعتبر شاذا عنه لانه من خلال تعلم الفرد تقليد وثقافة وقيـــم ونظم مجتمعه يصبح مخلوقـا اجتماعيـا . والاصطلاح الذي يطلقه علماء الانثروبولوجيا على هـذه العملية هو «التثقيف» .

هذه هي عملية التثقيف التي تؤدي الى الحقيقة القائلة بان الاعضاء في أي مجتمع يميلون لاظهار سلوكات متشابهة تحت ظروف معينة مماثلة وكذلك يجرى تعلم مجموعة الطرق المتكررة للسلوكات والمعتقدات التي تصاحبها . ولكن مجموعة الطرق هذه كثيرة ومعقدة واكثر بكثير من ان يتحكم بها فرد واحد وهذا يعني ان الاعضاء البالغين يتعلمون الحد الأدنى منها وهذا هو سبب قولنا ان التثقيف هو العملية التي بواسطتها يجد كل فرد ثقافته ويمكن القول ان الفرد كامن في ثقافته ولكن الأهم من ذلك هو القول بان الثقافة كامنة في الفرد ، ويعود ذلك للحقيقة القائلة ان الثقافة قد تقررت وثبتت في ذهن الفرد منذ الصغر واستوعبها كلها أو معظمها على الأقل، وتصبح بالتالي كل أو معظم مخزونه الفكري الداخلي ، ولهذا فانه غالبا ما يجد الاجابة على معظم الأسئلة أو المشاكل التي تختص بأسلوب حياته وما يجب ان يعمله أو ما يتوقع عمله حيال تلك المشكلات .

الفصل السابع

أنساق القرابة

Kinship Systems

من الملاحظ ان كل شعب قد اعتاد على مصطلح للقرابة في مجتمعه ، لذا فانه من الواضح ان مدلول العم أو العمه والخال أو الخاله قد لا يؤدي نفس المعنى عند شعب ما كما يؤديه عند شعب أخر(١) • أو أنه ليس هناك فرق بين مصطلح وآخر ، فمثلا : مصطلح العم في اللغة العربية هو شقيق الأب ، اما الخال فهو شقيق الأم وكل منهما يختلف عن الآخر ويعلل النسب ، لكن نفس المصطلح في اللغة الانجليزية Uncle •

هو العم أو الخال ، أي ان كلا منهما يطلق عليه نفس الاصطلاح ، فهنا لا يؤدي هـذا المصطلح معنى كما أعطاه في اللغة العربية وهذا الاختلاف ناتـج من أن النسق القرابي يعزى الى عوامـل اجتماعية صنعها المجتمع ، تلـك العوامل نابعة من ثقافـة الشعب على مر العصور ، ويمكن القول بأن النسق القرابي يعـزى الى العوامل البيولوجية الوراثيـة ، فالفرد يرتبط بأمه وأبيه بسبب مولده ويرتبط الأب والأم ببعضهما البعض بسبب معيشتهما واشتراكهما في انجـاب الأطفال ، ويرتبط الأطفال بعضهم ببعض بسبب انتمائهم الى نفس السلالـة والأصل ••• ولا تبـدأ الحياة القرابية الا بابتداء العلاقة الأولى بين الرجل والمرأة وهي علاقة الزواج ، ومن ثم تكـ ... الصغيرة والعائلة الكبيرة والقبيلة •

الـــزواج
Marriage

الزواج هو الرابطة المشروعة بين رجل وامرأة ، لغرض الاشباع الجنسي الذي يرضى عنه المجتمع ، ويكون هذا الرباط مستديما كي يتمكن الزوجان من انجاب الأطفال وتربيتهم للحفاظ على الجنس البشري ، ولا تترك عملية الزواج للصدفة سواء في المجتمعات المتحضرة أو المتأخرة ، وهـــي عملية منظمة ولكن تنظيمها يختلف ويتفاوت دقـة وتنظيما من مجتمع لأخر(٢) .

والزواج اتحاد معترف بـــه اجتماعيا بين شخصين مـــن جنسين مختلفين ، والفرق الرئيسي بين الزواج والعلاقة الجنسية هو ان الزواج يحظى باعتراف المجتمع وموافقته لانه نمط ثقافي لاقرار الأبوة أو النسب وتهيئة الأسس المستقرة للعناية بالأطفال وتربيتهم ، أما العلاقة الجنسية فهي آنيـة مرحلية وتعتبر مرحلة انتقالية في بعض المجتمعات لأن العلاقة الجنسية في مثل هذه المجتمعات تعتبر نوعا من الاعداد للزواج النظامي أو القانوني(٣) ـــ وما يحدث في قبيلة (الموريا) في الهند مثلا، هو من هذا النوع، اذ ان القبيلة تقوم باعداد بيوت خاصة للشباب والفتيات حيث يمكن لأي منهم ان يصطحب رفيقه المؤقت ويقضي معه فترة تجربه من الاتصال الجنسي ،ثم يعود كل منهما للجماعة وقد قررا الزواج أو عدم الزواج .. على انه في النهاية لا يمكن القول بأن أي مجتمع مهما بلغت

درجة بدائته أو حضارته يؤيد الاتصال الجنسي المستمر دون عملية الزواج أو الارتباط الرسمي ، وحتى في المجتمعات المتحضرة حيث يوجد هناك علاقة تزاوجية جنسية سواء كانت عرضية أو مستمرة الى فترة ما ــ كأن يعيش رجل وامرأة معا حياة زوجين يمارسان فيها كل حقوق الزوجية ــ الا انهما في النهاية يتوصلا الى قرار الزواج الرسمي الشرعي أو الانفصال ٠

وعندما يحدث الزواج تقوم قرابة بين مجموعتين أو أسرتين ولا تكون القرابة بين فردين وحسب ، بل تتم كذلك علاقة قرابة غير دموية ، أو ما يسمى بالمصاهرة بين فريقين من الناس ينتمي اليهما في الأصل أحد الزوجين ٠

هذا وتعتبر معظم المجتمعات الحياة الزوجية أفضل أنواع سبل الحياة السوية للبالغين اذ انه ينتظر من الزوجين ان يجدا في زواجهما اشباعاً لحاجاتهما الجنسية ، ووسيلة للتعاون في الشؤون الاقتصادية ، والحياة الاجتماعية ٠

تحريم الزواج :

تختلف الشعوب في درجة تحريم الاتصال الجنسي أو الزواج بالأقارب فبعضها تمنع التزوج بأية قريبة لابعد درجة فيشمل ذلك نساء الفخذ كافة وبعض نساء العشيرة والقبيلة جميعا ٠ وبعضها الآخر تبيح بل وتجيز الزواج من بعض الاقارب الى أقرب الدرجات(٤) ٠

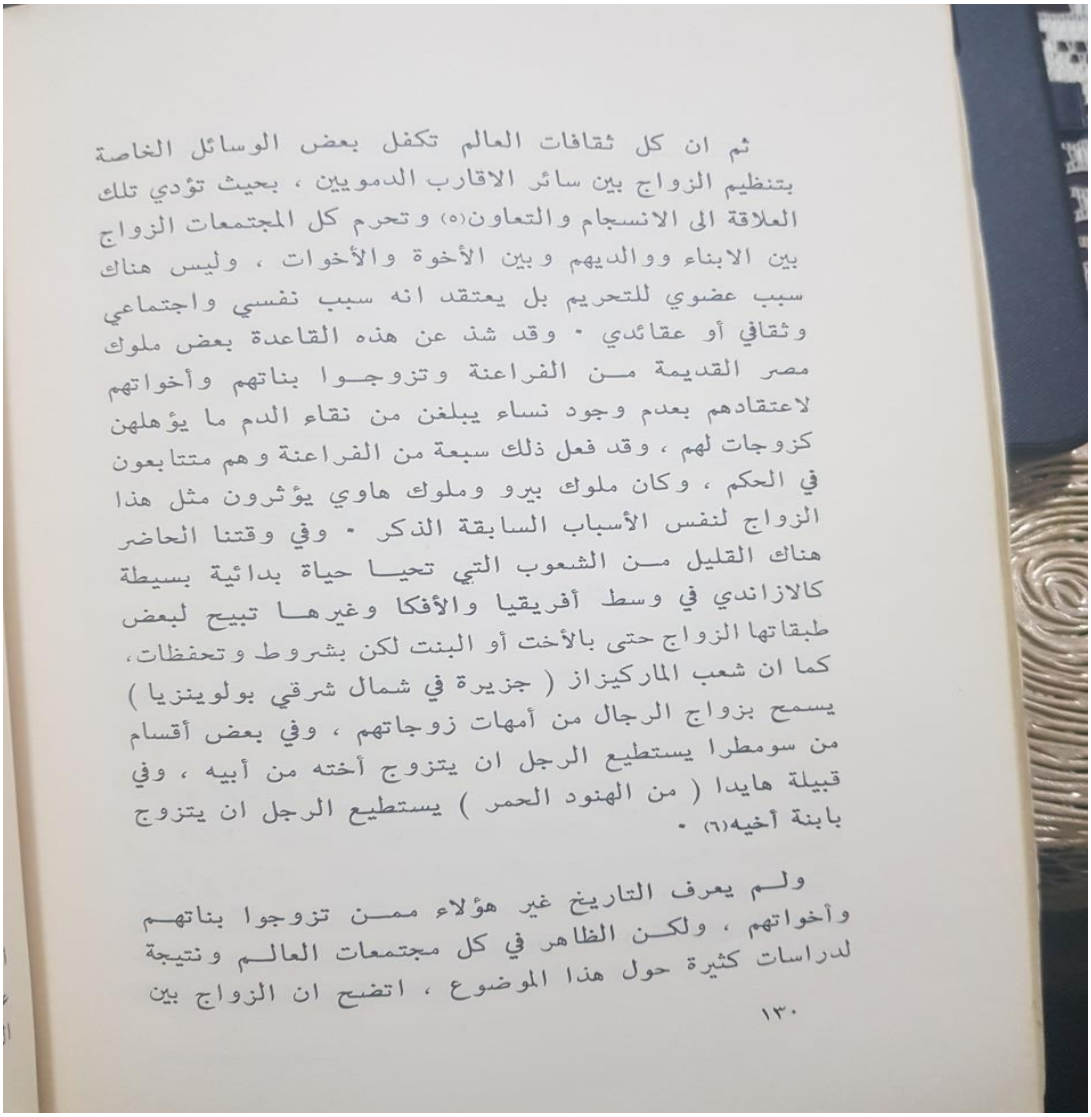

ثم ان كل ثقافات العالم تكفل بعض الوسائل الخاصة بتنظيم الزواج بين سائر الاقارب الدمويين ، بحيث تؤدي تلك العلاقة الى الانسجام والتعاون(٥) وتحرم كل المجتمعات الزواج بين الابناء ووالديهم وبين الأخوة والأخوات ، وليس هناك سبب عضوي للتحريم بل يعتقد انه سبب نفسي واجتماعي وثقافي أو عقائدي . وقد شذ عن هذه القاعدة بعض ملوك مصر القديمة من الفراعنة وتزوجوا بناتهم وأخواتهم لاعتقادهم بعدم وجود نساء يبلغن من نقاء الدم ما يؤهلهن كزوجات لهم ، وقد فعل ذلك سبعة من الفراعنة وهم متتابعون في الحكم ، وكان ملوك بيرو وملوك هاوي يؤثرون مثل هذا الزواج لنفس الأسباب السابقة الذكر . وفي وقتنا الحاضر هناك القليل من الشعوب التي تحيا حياة بدائية بسيطة كالازاندي في وسط أفريقيا والأفكا وغيرها تبيح لبعض طبقاتها الزواج حتى بالأخت أو البنت لكن بشروط وتحفظات، كما ان شعب الماركيزاز (جزيرة في شمال شرقي بولوينزيا) يسمح بزواج الرجال من أمهات زوجاتهم ، وفي بعض أقسام من سومطرا يستطيع الرجل ان يتزوج أخته من أبيه ، وفي قبيلة هايدا (من الهنود الحمر) يستطيع الرجل ان يتزوج بابنة أخيه(٦) .

ولم يعرف التاريخ غير هؤلاء ممن تزوجوا بناتهم وأخواتهم ، ولكن الظاهر في كل مجتمعات العالم ونتيجة لدراسات كثيرة حول هذا الموضوع ، اتضح ان الزواج بين

الفصل السابع

أنساق القرابة

Kinship Systems

من الملاحظ ان كل شعب قد اعتاد على مصطلح للقرابة في مجتمعه ، لذا فانه من الواضح ان مدلول العم أو العمه والخال أو الخاله قد لا يؤدي نفس المعنى عند شعب ما كما يؤديه عند شعب أخر(١) • أو أنه ليس هناك فرق بين مصطلح وآخر ، فمثلا : مصطلح العم في اللغة العربية هو شقيق الأب ، اما الخال فهو شقيق الأم وكل منهما يختلف عن الآخر ويعلل النسب ، لكن نفس المصطلح في اللغة الانجليزية Uncle •

هو العم أو الخال ، أي ان كلا منهما يطلق عليه نفس الاصطلاح ، فهنا لا يؤدي هـذا المصطلح معنى كما أعطاه في اللغة العربية وهذا الاختلاف ناتـج من أن النسق القرابي يعزى الى عوامـل اجتماعية صنعها المجتمع ، تلـك العوامل نابعة من ثقافـة الشعب على مر العصور ، ويمكن القول بأن النسق القرابي يعـزى الى العوامل البيولوجية الوراثيـة ، فالفرد يرتبط بأمه وأبيه بسبب مولده ويرتبط الأب والأم ببعضهما البعض بسبب معيشتهما واشتراكهما في انجـاب الأطفال ، ويرتبط الأطفال بعضهم ببعض بسبب انتمائهم الى نفس السلالـة والأصل ••• ولا تبـدأ الحياة القرابية الا بابتداء العلاقة الأولى بين الرجل والمرأة وهي علاقة الزواج ، ومن ثم تكو[illegible] والعائلة الكبيرة والقبيلة •

الـــزواج

Marriage

الزواج هو الرابطة المشروعة بين رجل وامرأة ، لغرض الاشباع الجنسي الذي يرضى عنه المجتمع ، ويكون هذا الرباط مستديما كي يتمكن الزوجان من انجاب الأطفال وتربيتهم للحفاظ على الجنس البشري ، ولا تترك عملية الزواج للصدفة سواء في المجتمعات المتحضرة أو المتأخرة ، وهـي عملية منظمة ولكن تنظيمها يختلف ويتفاوت دقـة وتنظيما من مجتمع لأخر(٢) •

والزواج اتحاد معترف بـه اجتماعيا بين شخصين مـن جنسين مختلفين ، والفرق الرئيسي بين الزواج والعلاقة الجنسية هو ان الزواج يحظى باعتراف المجتمع وموافقته لانه نمط ثقافي لاقرار الأبوة أو النسب وتهيئة الأسس المستقرة للعناية بالأطفال وتربيتهم ، أما العلاقة الجنسية فهي آنيـة مرحلية وتعتبر مرحلة انتقالية في بعض المجتمعات لأن العلاقة الجنسية في مثل هذه المجتمعات تعتبر نوعا من الاعداد للزواج النظامي أو القانوني(٣) — وما يحدث في قبيلة (الموريا) في الهند مثلا،هو من هذا النوع،اذ ان القبيلة تقوم باعداد بيوت خاصة للشباب والفتيات حيث يمكن لأي منهم ان يصطحب رفيقه المؤقت ويقضي معه فترة تجربه من الاتصال الجنسي ،ثم يعود كل منهما للجماعة وقد قررا الزواج أو عدم الزواج •• على انه في النهاية لا يمكن القول بأن أي مجتمع مهما بلغت

درجة بدائته أو حضارته يؤيد الاتصال الجنسي المستمر دون عملية الزواج أو الارتباط الرسمي ، وحتى في المجتمعات المتحضرة حيث يوجد هناك علاقة تزاوجية جنسية سواء كانت عرضية أو مستمرة الى فترة ما ــ كأن يعيش رجل وامرأة معا حياة زوجين يمارسان فيها كل حقوق الزوجية ــ الا انهما في النهاية يتوصلا الى قرار الزواج الرسمي الشرعي أو الانفصال ·

وعندما يحدث الزواج تقوم قرابة بين مجموعتين أو أسرتين ولا تكون القرابة بين فردين وحسب ، بل تتم كذلك علاقة قرابة غير دموية ، أو ما يسمى بالمصاهرة بين فريقين من الناس ينتمي اليهما في الأصل أحد الزوجين ·

هذا وتعتبر معظم المجتمعات الحياة الزوجية أفضل أنواع سبل الحياة السوية للبالغين اذ انه ينتظر من الزوجين ان يجدا في زواجهما اشباعاً لحاجاتهما الجنسية ، ووسيلة للتعاون في الشؤون الاقتصادية ، والحياة الاجتماعية ·

تحريم الزواج :

تختلف الشعوب في درجة تحريم الاتصال الجنسي أو الزواج بالأقارب فبعضها تمنع التزوج بأية قريبة لابعد درجة فيشمل ذلك نساء الفخذ كافة وبعض نساء العشيرة والقبيلة جمميعا · وبعضها الآخر تبيح بل وتجيز الزواج من بعض الاقارب الى أقرب الدرجات(٤) ·

ثم ان كل ثقافات العالم تكفل بعض الوسائل الخاصة بتنظيم الزواج بين سائر الاقارب الدمويين ، بحيث تؤدي تلك العلاقة الى الانسجام والتعاون(٥) وتحرم كل المجتمعات الزواج بين الابناء ووالديهم وبين الأخوة والأخوات ، وليس هناك سبب عضوي للتحريم بل يعتقد انه سبب نفسي واجتماعي وثقافي أو عقائدي · وقد شذ عن هذه القاعدة بعض ملوك مصر القديمة من الفراعنة وتزوجوا بناتهم وأخواتهم لاعتقادهم بعدم وجود نساء يبلغن من نقاء الدم ما يؤهلهن كزوجات لهم ، وقد فعل ذلك سبعة من الفراعنة وهم متتابعون في الحكم ، وكان ملوك بيرو وملوك هاوي يؤثرون مثل هذا الزواج لنفس الأسباب السابقة الذكر · وفي وقتنا الحاضر هناك القليل من الشعوب التي تحيا حياة بدائية بسيطة كالازاندي في وسط أفريقيا والأفكا وغيرها تبيح لبعض طبقاتها الزواج حتى بالأخت أو البنت لكن بشروط وتحفظات، كما ان شعب الماركيزاز (جزيرة في شمال شرقي بولوينزيا) يسمح بزواج الرجال من أمهات زوجاتهم ، وفي بعض أقسام من سومطرا يستطيع الرجل ان يتزوج أخته من أبيه ، وفي قبيلة هايدا (من الهنود الحمر) يستطيع الرجل ان يتزوج بابنة أخيه(٦) ·

ولم يعرف التاريخ غير هؤلاء ممن تزوجوا بناتهم وأخواتهم ، ولكن الظاهر في كل مجتمعات العالم ونتيجة لدراسات كثيرة حول هذا الموضوع ، اتضح ان الزواج بين

أقسام الزواج :

يقسم الزواج من حيث الجمع بين الجنسين الى(٩) :

١ ـ الزواج الجماعي :

وهو زواج عدة رجال من عدة نساء ، وهذا النوع من الزواج النادر تؤمن به بعض المجتمعات التي تتخذه هدفا اقتصاديا ، وفي هذه الحالة يتصل كل الرجال بكل النساء اتصالا جنسيا ويكون الأطفال المولودون ابناء للمجموعة ويقوم الجميع برعايتهم وسد حاجاتهم وتعمل الجماعة ـ معا ـ ذكورا واناثا في مؤسسة اجتماعية واحدة ومتكاملة .

٢ ـ تعدد الازواج :

ويكون ذلك بزواج امرأة واحدة من عدة رجال ، ولكن كثير من هذه المجتمعات تحدد عدد الازواج بعدد معين وفي الغالب يكونون من نفس القبيلة وفي هذه الحالة يكون نسب الأطفال للأمهات ، وفي بعض المجتمعات يكون نسب الأطفال لمن تختاره الأم وتقر بأنه أب للوليد الجديد .

٣ ـ تعدد الزوجات :

ويكون ذلك بأن يتزوج رجل واحد من عدة زوجات ، ويحدد الدين الاسلامي عدد الزوجات بأربعة ولا يجوز بأكثر من هذا العدد ولكن زواج الأربعة يكون مشروطا بالعدل بين

الزوجات على ان السماح بتعدد الزوجات في الدين الاسلامي لا يكون الا للحاجة القصوى .

وهناك مجتمعات أخرى لا تحدد عدد الزوجات ويستطيع الذكر ان يتزوج ما يحلو له دون تحديد عدد معين وفي كثير من الحالات لا يكثر من الزوجات في هذه المجتمعات الاّ القادرون على الانفاق عليهن .

وغالبا ما يطلق مصطلح واحد على كل من تعدد الزوجات وتعدد الازواج وهو الزواج التعددي Polygamy .

٤ ـ الزواج الاحادي :

وهو زواج رجل واحد بامرأة واحدة وعدم السماح بالتعدد سواء للازواج أو للزوجات ، والمقصود هنا عدم السماح بالجمع بين الزوجات أو الازواج ولكن في حالة وفاة أحد الزوجين فانه يسمح للزوج الثاني الحي بالزواج مرة أخرة . وفي مجتمعات أخرى يسمح لاحد الزوجين بالزواج اذا انفصل عن شريك حياته انفصالا قانونيا بالطلاق . وهذا الشكل من اشكال الزواج ـ الاحادي ـ هو الشكل المنتشر في معظم بقاع العالم .

اما تقسيم الزواج من حيث مكان الاقامة بعد عملية الزواج فيكون كما يلي(١٠) :

١ ـ الاقامة المنفردة Neolocal Residence

أي يقيم الزوج والزوجة بعد زواجهما في منزل منفرد هما وأولادهما الذين من صلبهما ، ويكون المنزل بعيداً أو منفصلا عن منزل العائلة سواء عائلة الأم أو عائلة الأب .

٢ ـ الاقامة الأمومية Natrilocal

أو الاقامة مع عائلة الأم ـ ويطلق عليها أيضا المسكن الأمومي ويكون ذلك بانتقال الزوج بعد الزواج للاقامة في بيت أهل الزوجة أو عند عشيرتها وفي هذه الحالة ينسب الأطفال المنجبون من الزوجين الى عائلة الأم أو عشيرتها ويدعي ذلك النسب Matrilineal ثم يربي الأطفال على اتباع قيم ونظم وعادات ومفاهيم أهل الأم أو عشيرتها ويطلق على تلك التربية تربية أهل الزوجة Matripotestal ٠

٣ ـ الاقامة الأبوية Patrilocal

أو الاقامة مع عائلة الأب ـ ويطلق عليها أيضا المسكن الأبوي ويكون ذلك بان تنتقل الزوجة الى بيت أهل الزوج بعد الزواج وتعيش مع أهل الزوج أو في عشيرته ، وينسب الأطفال المنجبون من الزوجين في هذه الحالة الى عائلة الزوج أو عشيرته ويدعي ذلك النسب Patrilineal ، ثم يربي الأطفال في هذه الحالة على اتباع قيم ونظم وعادات وتقاليد ومفاهيم أهل الأب أو عشيرته ويطلق على تلك التربية تربية أهل الزوج Patripotestal ٠

طرق الزواج :

ان عملية الزواج تتم بطرق مختلفة ومن هذه الطرق :

١ ـ الزواج بالشراء :

وهو اكثر الطرق شيوعا في المجتمعات المتأخرة ، ورغم ان الزواج يتم بطريقة الشراء الا ان الزوج لا يحق له بيع

زوجته لان شراءها يتم من أهلها واذا أراد الزوج الانفصال عن زوجته فانه يستغنى عنها ٠ اما طريقة الشراء هذه فتتم بالمقايضة ، ويكـون الثمن عددا من رؤوس البقر أو الغنم أو الجواميس ، ومن مظاهر هذا الزواج الاقامة في البيت الأبوي ٠

٢ ـ الزواج بالخدمة :

وفي هذه الحالة يتزوج الرجل فتاة مقابل خدمة أهلها ويبقى في خدمتهم ويستمر في تلك الخدمة ويقيم الزوج في بيت أهل الزوجة أو ما يسمى بالمسكن الأمومي ٠

٣ ـ الزواج التبادلي :

ويعني ذلك زواج أخ وأخت من احدى الأسر بأخ وأخت من أسرة أخرى وفي الغالب لا يكون هناك مهر زواج لاي من العروسين ، بل واحدة بواحدة ، وكثيرا ما يتم مثل هذا الزواج في بعض القرى في البلدان العربية ٠

٤ ـ الزواج بالارامل المقربين :

وهذا النوع من الزواج يقسم الى قسمين :

أ ـ زواج الرجل الاعزب بأرملة أخيه المتوفي ٠

ب ـ زواج الرجل الأرمل بشقيقة زوجته بعـد وفاة الزوجة ٠

ويكون مثل هذين النوعين من الزواج لحفظ عائلة المتوفي أو المتوفاة وتربية ابنائهما في ظل العائلة والمحافظة على الميراث ٠

٥ ـ الزواج الأسري :

ويتم ذلك عند رغبة أسرة ما بمصاهرة أسرة أخرى سبب اقتصادي ، أو اجتماعي أو عائلي ٠

أسباب الزواج :

ليس السبب الرئيسي في الزواج كما يعتقد البعض ـ هو ارضاء الغريزة الجنسية ـ لان ذلك مصرح به في بعض المجتمعات ـ ورغم ذلك فهناك أسباب متعددة تدفع الفرد الى الزواج ، من هذه الأسباب :

١ ـ الحب ٠
٢ ـ الرغبة في الحياة العائلية ٠
٣ ـ الأمان العاطفي ٠
٤ ـ الهروب من حياة الوحدة ٠
٥ ـ الاغراء المادي ـ المال/الأمان الاقتصادي ٠
٦ ـ تحقيق مركز اجتماعي ٠
٧ ـ المغامرة ٠
٨ ـ التمسك بالعقيدة ومبادئها ٠

نظريات الزواج :

ان جميع أسباب الزواج تخضع لنظريات اجتماعية وثقافية في الاختيار المناسب لشريك الحياة ، وهذه النظريات هي :

أولا ـ نظرية التجانس :

وهي النظرية التي ترتكز على فكرة ان الشبيه يتزوج بشبيهه ، ويتضح التجانس فيما يلي :

أ ـ التجانس في الجنس أو العنصر ٠
ب ـ التجانس في الدين أو المعتقد ٠
ج ـ التجانس في السن أو العمر ٠
د ـ التجانس في الحالة الزواجية (أعزب وعزباء ، مطلق ومطلقة ، أرمل وأرملة)
هـ ـ التجانس في المكانة الاجتماعية والاقتصادية ٠
و ـ التجانس في التعليم ٠
ز ـ التجانس في الاتجاهات والميول ٠
ح ـ التجانس في الصفات والخصائص الجسمية ٠

ثانيا ـ نظرية التجاور المكاني :

ويكون ذلك باختيار الزوج لزوجته عن طريق المعرفة والقرب والجوار وتكرار المشاهدة مثل :

أ ـ الجيرة في المسكن ٠
ب ـ الجيرة في المدرسة ٠
ج ـ الجيرة في العمل ٠

ثالثا ـ نظرية القيم :

وهي اختيار الزوجة التي تناسب الزوج في مجموعة القيم والمبادىء التي لديه ، لانه يشعر بأمان عاطفي وراحة نفسية عندما تكون قيمه الأساسية موجودة في شريكة حياته ٠

الطـــلاق :

يعتبر الزواج في معظم المجتمعات في العالم ـ عقدا قانونيا بين الشخصين المتزوجين أو بين عائلتيهما ومهما يكن شكل الزواج ـ فان المفروض فيه ان يكون دائما مدى الحياة(١١) ولكن ، عندما ينشأ عدم التفاهم وعدم التآلف بين الزوجين ويصبح لا مفر من الانفصال أو فسخ العقد المبرم ، فانه لا بد من وقوع ما يسمى بالطلاق وهو وسيلة من وسائل التخلص من المشاكل التي يصعب حلها بين الزوجين ٠ وعلى أية حال ان الطلاق شيء يؤسف له دوما وفي كل المجتمعات وفي معظم المعتقدات وفي الشريعة الاسلامية ورد أن أبغض الحلال عند الله الطلاق ، ورغم ذلك فهناك أسباب قد تعزى الى الطلاق ومنها ما يلي(١٢) :

١ ـ عدم التكافوء بين الزوجين :

وعدم التكافوء يعني ان أحد الزوجين يفوق الآخر أو يعلو عليه في أحـد أو معظم النواحي التالية : المادية ، الاجتماعية ، العقائدية ، الوظيفيـة ، العنصرية الطبقية ... الخ ٠

٢ ـ عدم الاخلاص :

وهو الشكل الشائع للخيانة ـ في حالة خيانة أحدهما للآخر أو اكتشاف علاقة لاحد ما مع غير قرينه ، أو في كثير من الحالات تكرار تلك الخيانة أو الاغراق فيها ٠

٣ ـ عدم الانجاب (العقم) :

ولكن هذا السبب قد يعالج في بعض المجتمعات ـ كالمجتمعات الاسلامية ـ بتعدد الزوجات واعطاء رخصة للزواج بأخرى ٠ أو بالتبني في المجتمعات الاوروبية وبهذا تشبع رغبة الزوجين الملحة لتربية واحتضان الأطفال ٠

٤ ـ الشجار أو العنف المستمر :

ويكون ذلك بسبب طباع أحد الزوجين غير المحمودة ، وقد يتولد ذلك عن عدم الثقة بين الزوجين أو انانية أحدهما أو حب التملك عند واحد دون الآخر ٠

٥ ـ سوء المعاملة (القسوة) :

وقد تنشأ عن عدم التكافؤ بين الزوجين أو شعور أحدهما بالتعالي على الآخر ، أو لعدم فهم أحدهما للآخر ٠

٦ ـ العجز الاقتصادي (العوز) :

ويكون ذلك بعدم استطاعة الزوج اعالة زوجته أو عدم استطاعته القيـام بواجبات بيته مـن حيث احضار المأكل والمشرب والملبس ٠

٧ ـ العجز الجنسي (عدم الرغبة الجنسية) :

عدم الرغبة عند أحدهما في ممارسة الجنس مع الشريك الآخر ، سواء عن عجز فيه أو عدم رغبة وتقزز أو لاي سبب نفسي آخر ٠

٨ ـ المـــرض :

اذا ما اصيب أحد الزوجين بمرض لا يمكن الشفاء منه ففي هذه الحالة وخاصة في المجتمعات التي لا تسمح بتعدد الزوجات يتم الطلاق ليتمكن غير المريض من الزوجين الزواج٠

على ان عملية الطلاق ـ أو فسخ العقد المبرم بين الشخصين ـ لا يمكن ان تتم الا بطريقة قانونية كما اجتمعا وارتبطا بطريقة قانونية ، ولا بد من ان يفصم هـذا العقد سلطة مسؤولة أو مختصة كالسلطة التي ابرمت العقد في البداية ولذا تختلف عملية الطلاق بين مجتمع وآخر ، ومن نظام لاخر ، ومن معتقد لاخر ، وهو أقل تعقيدا في المجتمعات البسيطة والبدائية ، وأكثـر تعقيداً كلمـا ارتقى الانسان في سلم الحضارة ٠

الأسرة/العائلة

(Family)

الأسرة هي الخلية الأولى في المجتمع ، وهي الوحدة الاساسية للنظام الاجتماعي ، وهي بالتالي قديمة قدم النوع البشري في حين انه لا يوجد مرجع يؤكد بدء وجودها أو تكوينها ، ولكن علماء الاجتماع يؤكدون قول بعض الكتب السماوية ، فيرون ان الأسرة كانت موجودة منذ عرف التاريخ البشري ، وتطورت هـذه الأسرة وتغيرت عـلى مر العصور وعدلت في شكلها ونظامها حتى تتلائم مع ظروف الحياة مراعية في ذلك الزمان والمكان الذي تعيش فيه ٠

والأسرة أو العائلة هي عبارة عن **عضوين مرتبطين معـاً في وحدة جنسية لا يسمح لها ان تكون غير معترف بها اجتماعيا وهما مسؤولان عن تربية وتعليم أطفالهما المولودين منهما ٠** والأسرة بهذا المعني رجل وامرأة وما ينجبان من بنين وبنات فيكونون فريقا اجتماعيا اعضاؤه يعيشون معاً ، ويشتركون في تعاون اقتصادي ٠

أنواع الأسر :

كانت الأسرة فيما مضي ، أسرة كبيرة واسعة بحيث كانت تشمل جميع اعضاء العشيرة المرتبطين مع بعضهم البعض

برابط القرابة ، أو رابطة الدم سواء من الناحية الأبوية أو الناحية الأمومية ، أو برباط الانتماء الى طوطم* معين .

أما أنواع الأسر في العصور الحاضرة فهي(١٣) :

١ ـ الأسرة الممتدة :

وهي الأسرة التي تتكون من الأب والأم وأولادهما وابناء أولادهما وزوجاتهم والأعمام والأخوال ، والعمات والخالات وابناء العم أو ابناء العمه ، وابناء الخال أو ابناء الخالة والأحفاد والاجداد .

وفي مثل هذا النظام يغلب التسلسل الأبوي ، أو التسلسل الأمومي .

٢ ـ الأسرة المتعددة (المشتركة) :

وهي الأسرة التي تتكون من أسرتين أو اكثر من الأسر النووية وترتبط بعضها ببعض بزيجات متعددة أي ان أحد الأبوين فيها يكون مشتركا بينها جميعا . وتظهر مثل هذه الحالة عندما يكون للزوج اكثر من زوجة تسكن كل واحدة منهن في مكان منفصل مع أولادها وبناتها ، أو حتى في مكان واحد ، وكذلك الحال في بعض المجتمعات التي تؤمن بتعدد الازواج ، وتكون الزوجة في هذه الحالة لها عدة أزواج وتكون الأسرة متعددة الجوانب .

* الطوطم : اصل حيواني أو نباتي أو معدني تتخذه عشيرة أو قبيلة ما رمزاً يميزها عن بقية العشائر والقبائل . (انظر الطوطمية / التنظيم العقائدي) فيما بعد .

٣ ـ الأسرة النووية :

وهي التي تتكون من زوج وزوجة وابنائهما الذين من صلبهما ، أو المتبنين ، والأسرة النووية ذات جانبين بمعنى ان كلا من الزوجين يصبح نتيجة للزواج عضوا في أسرتين ويكتسب الابناء كذلك قرابة ثنائية فهم ينتمون الى عائلة الأب والى عائلة الأم معا .

وظائف الأسرة :

تقوم الأسرة بعدة وظائف سواء من الناحية الفردية أو الناحية الجماعية ومن هذه الوظائف(١٤) :

١ ـ وظيفة جنسية تناسلية :

وهي ارضاء الحاجة الجنسية لدى كل من الزوجين بطريقة شرعية نظامية وينتج عن هذا الارضاء نسل جديد للحفاظ على النوع البشري وامتداده واستمراره .

٢ ـ وظيفة اقتصادية :

الأسرة وحدة اقتصادية تنتج ما تحتاج اليه من سلع وتستهلك ما تنتجه ثم توزع الفائض عن الحاجة ، وفي النظام الأسري القديم كانت كل أسرة تحاول ان تكفي نفسها بنفسها وخاصة في المجتمعات الزراعية .

٣ ـ وظيفة دينية خلقية :

الأسرة هي المدرسة الأولى للأطفال ، تنقل اليهم تعاليم دينهم ، وتهذبهم وتزودهم بالاخلاق التي تعتبرها حميدة

ومفيدة فتضع النظم الاخلاقية لافرادها ، وعن طريق الأسرة يعرف الأفراد الفرق بين الفضيلة والرذيلة والخير والشر والحسن والسيء .

٤ – وظيفة تربوية :

تقوم الأسرة بتربية أطفالها بما يتناسب والبيئة المحلية التي يعيشون فيها وما ينظم مجتمعهم من عقيدة ومبادىء ، وتطبعهم بطابع المجتمع وتثقفهم بثقافته ، وتهيئهم للعيش في مجتمعهم بانسجام وتوافق .

٥ – وظيفة بيولوجية :

وتكون باطعام الأطفال والحفاظ عليهم صحيا ، وايجاد المأوى والمأكل والمشرب لهم وتغذيتهم وتنمية اجسامهم .

ومنذ تكونت الأسرة وهي تقوم بكل هذه الوظائف وغيرها . ومع تقدم الحضارة البشرية وتطور الحياة الانسانية تقلصت معظم هذه الوظائف ولم يبق للاسرة الحديثة الا وظيفتان اساسيتان هما الوظيفة التربوية والوظيفة البيولوجية وتحولت الوظائف الأخرى الى سلطات اكثر تنظيما وتطورا كالمدرسة والمؤسسات الدينية ، والمؤسسات الوطنية العامة الأخرى ، وقامت هذه المؤسسات بمعظم وظائف الأسرة . ولكن هناك رأيا لعلماء متطرفين مفاده ان جميع الوظائف التي تقوم بها الأسرة قد أصبحت غير مجدية ويمكن الاستغناء عن الأسرة ، ففي ان كانت هذه المتطلبات يمكن ارضاؤها خارج الأسرة ، يمكن ارضاء بعض المجتمعات سواء المتقدمة أو غير المتقدمة ،